

الفصل الثاني

من ينظر لتاريخ المسلمين نظرة متأنية فاحصة، يمكنه أن يرى ملامح الحكم المدني في فترة مهمة من التاريخ، وهي ما يطلق عليها "الخلافة الرشيدة" قبل أن ينتقل الحكم إلى نظام التوريث في أيام يزيد بعد خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه .والأكيد عند المسلمين أن فترة الخلافة الأولى هي أفضل فترات الإسلام، وأن الخلفاء الأوائل — رضي الله تعالى عنهم — أفضل من بني أمية. حتى أن النصوص القرآنية والسنة كلها تؤيد هذا الاتجاه وهذا الاستنتاج، على أن أصل الحكم في الإسلام ليس الدولة الدينية، تؤيده الأدلة من القرآن والسنة الصحيحة والإجماع والقياس.

انضباط المفاهيم خطوة أساسية لفهم المصطلحات السياسية والتاريخية والدينية، ومدلول مصطلح المدنية الآن يختلف عن المدلول من ١٠٠ سنة، وعنه من ٢٠٠ سنة، وكذلك من ١٠٠٠ سنة. وهكذا فإن المفاهيم تتطور من ١٤٠٠ سنة وما قبلها، ولكن يبقى الأساس واحد والجوهر ثابت. فالمدينة بشكل عام أصلها اللغوي مدن، ومن نفس المادة المدينة، فالمرادف اللغوي للمدينة هو الحضارة، ومن لوازم معناها التطور والتقدم والازدهار. وكذلك فإن الدولة المدنية هي الدولة العصرية الحديثة المتقدمة، والمجتمع المدني هو المجتمع الحضاري الذي يحترم حقوق الإنسان. وحصر المدنية في أنها ضد الدينية أو العسكرية أو الملكية تعريف ناقص. فإن الحكم المدني هو الحكم الرشيد، وهو عكس الاستبداد، وبالتالي تدخل أسس كثيرة للدولة المدنية منها: العدل والحرية والمشاركة المجتمعية والمساواة. ومن نفس المنطلق فإن الحكم بسم الإله، بما لم يأذن به الله، هو دولة دينية ظالمة. أو بشكل أبسط فالدولة الدينية تسلط رجال الدين على الشعب، أو تسلط الحاكم بسلطة الدين أو باستخدام الكهنة على الشعب، وهو ضد إرادة الله الذي أنزل كتباً وأرسل رسلاً، ليكون الدين خالصاً له. فلا يمكن أن يعطي ملك الملوك ملكه لأحد، وإنما الغرض هو استخلاف الإنسان في الأرض.

مبدأ الاستخلاف الإلهي للإنسان يعتبر مدخلا مهماً لوضوح الفكرة بشكل أكبر فإن الاستخلاف الإلهي يأتي على مرحلتين أولهما الأمانة (إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان) فهي أمانة تكليف، والتكليف له شقان الاختيار والمسئولية المترتبة على الاختيار، أو بشكل أوضح حرية الاختيار، ثم الحساب والجزاء على أساس تصرفات الإنسان. والمرحلة الثانية ما استتبع هذا

التكليف من رفع لقيمة الإنسان وتكريمه بالعقل الذي هو محل التكليف وسيد الحواس والجوارح (ولقد كرمنا بني آدم). الاستخلاف ليس للحاكم فقط كما قد يفهم من بعض التيارات الدينية العاملة بالسياسة، وإنما الاستخلاف والتكليف لكل فرد في الأمة، وإن كان على القدر الذي وضعه الله أمانة عليه، وهذا يوضحه الحديث الشريف (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) فالأب راع والأم راعية وكل مسئول راع حتى الحاكم. فالكل راع على مستواه ونطاقه، والآية جاءت مطلقة لتشمل كل بني آدم، وليس الحاكم أو جماعة معينة فقط، والدليل على ذلك الحديث السابق، ومثله الحديث (إن الله مستخلفكم فيها) أي الدنيا فينظر ما تعملون، وإن كان وضع الإسلام منزلة عظيمة للحاكم العادل، لحرص الإسلام الشديد على أداء الأمانة فكان في الحديث (سبعة يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل).

ولكن من السخيف أن نقيم بمفاهيم المدنية اليوم عصر الخلفاء والصحابة، لاختلاف المجتمع والناس والظروف والثقافة. وحتى العصر، ولكن يبقى الجوهر ثابت والأشكال تتغير. فمثلا لم يعرف العالم وقتها مفاهيم الدولة أو القومية أو المواطنة أو الديمقراطية أو العلمانية، بما نعيشه الآن، ولكن عرف العالم طوال تاريخه العدل والظلم والإحسان والإصلاح والقهر والتعذيب والفساد. فالقرآن فرق في روايته عن قصص الأنبياء بين مدينة ومدنية وحضارة وبين بدو وبين قرى وقبائل، فمثلا يصف القرآن مصر القديمة بحضارتها في سورة يوسف: أن امرأة العزيز (أعتدت لهن متكأ، وآتت كل واحدة منهن سكيناً)، وهذا يوضح رفاهية ورقي النظام الاجتماعي المتقدم، في حين أن العرب بدو وسكان صحراء يأكلون بأيديهم، وليس لديهم هذا الإتيكيت المصري القديم، وإخوة يوسف من بني إسرائيل، عندما جاؤوا من صحراء فلسطين ليسكنوا أرض مصر، جنة الله في الأرض. وصفهم الله (وجاء بكم من البدو) ويتحدث عن مصر كدولة لها وزراء وقادة ونظام وقصر وأسواق وجنود وملك ومستشارين وسجن، وهو ما لا يعرفه العرب قبل الإسلام. فلا يمكن الحديث عن البيئة إلا بما يناسبها، فيجب أن يكون في الذهن مبادئ عن التعبيرات والصيغ القرآنية، وأنه صالح لكل زمان ومكان وأن الإسلام رسالة وسطية وعالمية.

باستعراض آيات القرآن التي تتحدث عن الحكم في الإسلام، ومع استقرار المفاهيم السابقة عن التعبيرات والصيغ القرآنية، مع الأخذ في الاعتبار الثقافة العربية قبل الإسلام وطبيعة المجتمع العربي باعتباره أول مجتمع يخاطب بالرسالة. نجد أن القرآن لا يمكن أن يحدد نموذج الحكم، لاختلاف البيئات والعصور والأمم التي سيدخلها في ما بعد، وهو ما تحقق فعلا فلم يرد في القرآن نص على وجوب نظام حكم معين، ولكن لأن القرآن لا تنقضي عجائبه، وأن الله أنزله لحياتنا الدنيا والآخرة، فقد وضع أسس ومبادئ عامة ثابتة يلتزم بها الحاكم المسلم، وهما مبدأ العدل ومشاركة المجتمع، وجعل ذلك ضمن منظومة قيم المجتمع الإسلامي تأكيدا على عدم الاستبداد والانفراد بالرأي. ووردت آيات كثيرة عن ذلك، فعن العدل (أن الله يأمر بالعدل والإحسان)، (شهد الله أنه لا إله هو، والملائكة وألو العلم قائما بالقسط)، (وإذا حكمتم فاعدلوا) (وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) وأورد الله سبحانه وتعالى قصص الأولين من العادلين لنسترشد بها كقصص داود وسليمان، وذكر مقومات الملك الصالح: وهي التوحيد وعدم الشرك والتقوى والعلم وشكر النعم وعدم الطمع، وكذلك الشجاعة في الحرب والفطنة في القضاء إلى غير ذلك. كقصص موسى القوي الأمين ويوسف الحفيظ العليم. وعن المبدأ الثاني في القرآن، وهو المشاركة المجتمعية. فقد تصدرها مفهوم الشورى (وأمرهم شورى بينهم)، (وشاورهم في الأمر)، وكذلك وردت البيعة كطريقة للتأييد لأنها كانت ثقافة سائدة في عصرهم (إذا جاءتك المؤمنات يباعدنك تحت الشجرة)، (إذا جاءتك المؤمنات يباعدنك). وحتى آيات العقوبات لم توجه للحاكم، وإنما للأمة كلها (فاجلدوهما)، (فاقطعوا أيديهما). وعند الصلح بين المتقاتلين (فقاتلوا التي تبغي)، والصلح بين الزوجين (فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها) حتى في الكفارات والشعائر (يحكم به ذو عدل منكم). والخطاب الدائم المستمر في القرآن يا أيها الذين آمنوا حتى في الحرب الخطاب للمؤمنين كلهم بلا اختصاص ولا تمييز.

لم يظهر مفهوم الدولة بشكلها الحالي في القرآن، وإنما ظهر مفهوم السلطة (ولاية الأمر)، ولم يحدد ما هي نوعية الولاية ولا نظامها والأمر لفظ مطلق يعني كل مسئولية أو مهمة لأن الحاكم لن يظل فردا واحدا كالخليفة، وإنما سيتغير كحالنا الآن فراعي ذلك الخطاب القرآني وآتي بالنص على صيغة تشمل كل الظروف والتطبيقات. ومن ذلك (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) في وضع طاعة الشعب للحاكم بطاعة

هذا الحاكم لله ورسوله وتنفيذ تعاليم الإسلام. وتوسع المفسرون في معني أولي الأمر ليشمل كل صاحب سلطة، واستقرت غالبية الآراء على أنهم الحكام وعلماء الدين. ويشير القرآن إلى ضرورة عدم اتباع الأهواء والتزام الحاكم بالعدل والحياد بين أفراد الأمة بقوله تعالى (وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل إليك)، (إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله) ويستمر القرآن في تعليمنا أسس إقامة حكم سليم ومنها تقديم المصلحة العليا على المصالح الفردية بقوله (قل إن كان آباؤكم وأبناءؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها، ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره، والله لا يهدي القوم الفاسقين). ويحرص الإسلام حرصاً شديداً على نزاهة الحكم وإبعاد شبهة الأموال حتى يبعد الفساد والرشوة والمحاباة، وأن مال الغني يعتبر جزءاً من منظومة القوة المالية للأمة كلها ولذلك ذكر القرآن (ولا تاكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتاكلوا فريقاً من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون) ومن لوازم حفظ الأمة وتماسكها وتربطها والتأكيد على المسؤولية الجماعية، ظهر مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر أولئك هم المفلحون. ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات) والمقصود هنا أكبر وأشمل من ادعاء حكومة أو جماعة أو هيئة تطبيقه وحدها دون باقي المجتمع واستمراراً للتأكيد على مفهوم الوحدة وتماسك المجتمع لأن المجتمع المسلم امتداد للمجتمعات المؤمنة السابقة، ويحمل رسالة عظيمة فيذكر القرآن (شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه)، (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم)، (ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا). وتأكيذاً على وحدة مصير الأمة (واتقوا فتنة لا تصيب الذين ظلموا منكم خاصة). ولأن علم الدين من هموم الأمة الأساسية ويجب حفظ العلماء بعيداً عن تأثير الحكم والحكام حتى في أصعب الظروف، وفي الحرب اهتم بهم القرآن فورد فيه (وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون). كل هذه الأسس

والمبادئ التي أرساها القرآن ليقيم المسلمون حكما عادلا بكرامة وتقدم لا يستبد الحاكم على المحكوم ويعيش الشعب رقيبا على السلطة.

في السنة النبوية أحاديث وروايات كثيرة تتحدث عن الحكم وعن الحكام من بعده حتى يوم القيامة وأكدت السنة على نفس معاني القرآن وفسرتها بشكل أكثر. واتخذ المسلمون القاعدة الأساسية في ذلك الحديث (تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها ثم تكون خلافة على منهاج النبوة فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ثم تكون ملكا عاضا فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها ثم تكون خلافة على منهاج النبوة). وبهذا ينقسم الحكم إلى أربع مراحل : وهي مرحلة الخلافة وغيرها رواية (خلافة النبوة ثلاثون سنة)، (الخلافة بعدي ثلاثون)، وبدايتها أبو بكر الصديق، ونهايتها الحسن بن علي رضي الله عنه، ولم تدم بعد أبيه آخر الخلفاء الراشدين الأربعة كثيرا، وتنازل عنها لمعاوية، وهذه الخلافة هي النظام الذي يرضي الله لأنها بالشورى، وباختيار الأمة، وليست بالتوريث أو الحرب أو الإجماع أو غير ذلك. مما حدث في المراحل التالية ولا يصح شرعا أو تاريخا إطلاق لفظ الخلافة على غير هؤلاء، وإنما جاءت التسمية لشيوعها. المرحلة الثانية هي الملك العضوض الذي جاء بالتوريث وسمي عضوضا لأن استخلاصه كان صعبا، والحفاظ عليه كان شديدا الصعوبة، وفيه المؤامرات والمكائد واستمات الحاكم على كرسيه ليورثه لمن بعده. وورد عن الصالحين أنهم اعتزلوا السياسة وأهلها والحكم وشؤونه وأنهم غير راضين عن حكم بني أمية بعد معاوية. وأنهم تفرغوا للعلم وطلبه وإن كان هذا له أثر كبير في النهضة العلمية في تاريخ الإسلام نتيجة الاستقرار السياسي والاجتماعي، فازدهرت علوم الدين والعلوم الطبيعية والطب والكيمياء علوم الفلك والحساب والعمارة والفلسفة والمنطق والأدب والشعر. ثم مرحلة الملك الجبري الذي يعني الديكتاتوري، ويكثر فيه القهر والقتل والدماء وهو العصر الذي نعيش فيه الآن وتصفه الأحاديث أنه زمن الفتن حتى تزيد الفتن إلى خروج الإمام المهدي في آخر الزمان. وتلك الخلافة على منهاج النبوة الأخيرة. وورد عن النبي في رواية عن هذه الأحوال (سيكون بعدي خلفاء وبعد الخلفاء أمراء، ومن بعد الأمراء ملوك، ومن بعد الملوك جبابرة، ثم يخرج رجل من أهل بيتي يملأ الأرض عدلا كما

ملئت جوراً) وكان يلقب حكام العباسيين والأمويين أمير المؤمنين وتبعتهم الأباطرة العثمانيين، فذلكم الملوك أو كما يلقبون بالسلاطين والجبارة الذين يحكمون الآن حتى ظهور المهدي سلام الله عليه. جاءت الأحاديث تطالب الحكام أن يتقوا الله في المسلمين، وأن يحافظوا على الأمانة ويرعوا الملك الذي منحهم الله ومن ذلك (اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فشق عليهم فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فرفق به). يعلمنا النبي قواعد اختيار المسؤولين : وهي الكفاءة والأمانة وعدم المحاباة في قوله (وأما أمانة وأما يوم القيامة خزي وندامة إلا من كان أهلاً لها وأخذ بحقها وأدى الذي عليه فيها)

لأبي ذر — رضي الله عنه — وهو من كبار الصحابة، ومن ذلك قوله (إذا وسد، أو أسند الأمر لغير أهله فانتظر الساعة) وقوله لأحد المسؤولين عن جمع الزكاة من القبائل عندما جاء بأموال الزكاة، وأموال خاصة أهديت له أن هذه الأموال ليست حقه، وأنها رشوة وفساد حتى لو كان نزيهاً، وكانت القبائل تحب هذا الرجل، لأنه من الصحابة فأن الأفضل ألا يأخذ المسئول أي أموال أو هدايا من الشعب أبداً. لهذا جاءت الوصايا النبوية بالاتحاد خلف القيادة والحكام والبعد عن الفوضى ووحدانية الصف، ونبذ الخلاف لأن الفتنة أشد من القتل، ولذلك ففي الحديث (ألزم جماعة المسلمين وإمامهم)، وقال النبي (لا تعودوا بعدي كفاراً، أو ضاللاً، يضرب بعضكم رقاب بعض) كما ورد في الحديث (من بايع إماماً فأعطاه صفقة يده، وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع)، وهنا وضع النبي شرطاً وهو أن يكون اختيار المسلم بإرادته وليس نفاقاً أو حتى إجباراً لقوله "ثمره قلبه" لضمان إخلاص الشعب للقيادة، وصفقة اليد دليل على الراحة النفسية لهذا الاختيار والتأييد. ولذلك قال: (من كره من أميره شيئاً، فليصبر فإنه من خرج من السلطان شراً مات ميتة جاهلية) في حال سير الحاكم على النهج الإسلامي الصحيح في الحكم، وهذا ليس معناه السلبية، وعدم المشاركة في الأمور المهمة كاختيار الحاكم وإنما التأكيد على التدقيق في من نؤيد فالنبي شجع على الإيجابية في حديثه (من خلع يدا من طاعة لقي الله ولا حجة له. ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية)، ومثل ذلك (من فارق الجماعة شراً فكلما خلع ربة الإسلام من عنقه)، بل وزاد النبي في التوصية بالوحدة، وعدم الانقسام بأنها من الطاعة لله عز وجل (أطيعوا ربكم وصلوا خمسكم وأدوا زكاة أموالكم وأطيعوا أمراءكم تدخلوا جنة ربكم) قد يظن بعض السذج أو المغرضين أن الإسلام لا يسمح

بالخروج والثورة على الحاكم الفاسد الظالم فإن النصائح القرآنية والنبوية وضعت شروطاً لطاعة الحاكم (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق)، وفي الحديث (السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة)، (لا طاعة لمن لم يطع الله)، وفي رواية (لا طاعة في معصية الله) وفي الحديث أيضاً (لعن الله ثلاثاً رجلاً أمّ قوما وهم له كارهون)، وقال عمر بن الخطاب (فمن بايع أميراً بغير مشورة المسلمين فلا بيعه له)، واتفق علماء المسلمين باختلاف مذاهبهم على ضرورة عزل الحاكم الفاسد المفسد، وخلعه والخروج عليه وتعيين من يحكم بما يرضي الله على نهج وسنة الرسول والخلفاء والصحابة وأن اختلفوا في تحديد نوع الإفساد، ولكن اتفقوا على وجوب عزل الذي يفسد الدين أو الذي يتدع فيه ويرغم الناس على البدعة أو أن يرى المسلمون الكفر الصريح من الحاكم. وعلى كل حال يبقى تعيين الحاكم المصلح من أهم مهمات الأمة المسلمة.

وقد عرف العرب قبل الإسلام وبعده ما نعتبره اليوم مؤسسات دستورية أو ديمقراطية، وكذلك وثائق تنظيم الدولة القانونية وعرفوا عقد معاهدات ومصالحات واتفاقات بين القبائل وبعضها مثل "حلف الفضول" الذي أنهى حرب الفجار، وهو أشهر أحلاف قريش الأربعة. ووقت البعثة كانت صحيفة المقاطعة وهي حصار قريش للمسلمين في شعب أبي طالب لمدة ثلاث سنوات. ووقعت قريش لابني هاشم وبني عبد المطلب على وثيقة بذلك، وعلقت في الكعبة إلا أنه بفضل دعاء المسلمين سلط الله الأرضة وتأكلت الصحيفة إلا عبارة (بسمك اللهم)، وأخبر النبي بذلك ووجدت قريش ما أخبر به النبي حقاً مما كان نصراً معنوياً عظيماً للنبي والمسلمين.

وبعد الدعوى كان هناك صلح الحديبية الشهير، ثم بعد الإسلام كانت رسائل النبي إلى الملوك والأباطرة لدعوتهم، وقد صار الخلفاء والحكام من بعده في على هذا النهج، ولكن تبقى وثيقة مؤثرة في التاريخ الإسلامي، بل وتاريخ العالم متفوقة على الإتفاقيات المعهودة في هذا الزمان التي يعقدها الروم والفرس مع الأمم التي انتصروا عليها لأخذ الجزية. فهذه المعاهدة بين المسلمين واليهود وهو ما يعرف بعهد المدينة أو صحيفة المدينة وهي أول وثيقة دستورية في التاريخ القديم، ووضع فيها مبادئ مواطنة الحقوق المتساوية وتكافؤ الفرص فلم تشهد المدينة تفضيل أي من مواطنيها على الآخر إلا بالقانون الذي يحكم هذه

الصحيفة ولا يختلف عن الدساتير التي نعرفها اليوم، وشمل عهد المدينة إثنان وخمسون بندا، وقام الدستور المدني بتنظيم العلاقة بين جميع الطوائف في المدينة من المهاجرين والأنصار واليهود والقبائل الأخرى وفيه أن يتصدي سكان المدينة كلهم لأي عدوان خارجي وللجميع الحق في إقامة شعائره وتعبده والعجيب أن الدستور وضع الشريعة الإسلامية كمرجع قانوني للمدينة وذكر بعض المستشرقين والمؤرخين أن النبي لما وضع بنود الدستور جعل منها ٢٥ لتنظيم أمور المسلمين و٢٧ لتنظيم العلاقة بين المسلمين وبين غيرهم. ومن بعض البنود التي وردت فيه (بسم الله الرحمن الرحيم) هذا كتاب من محمد النبي رسول الله بين المؤمنين والمسلمين من قريش وأهل يثرب ومن اتبعهم فلحق بهم وجاهد معهم. أنهم أمة واحدة من دون الناس. المهاجرون من قريش على ربعتهم يتعاقلون بينهم وهم يفلدون عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، ومثل هذه المادة تكررت مع بني عوف وبني الحارث وبني ساعدة وبني جشم وبني النجار وبني عمرو بن عوف وبني النبيت وبني الأوس. وبعد ذلك (وأن المؤمنين لا يتركون مفرحاً بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل. وأن لا يخالف مؤمن مولى مؤمن دونه. وأن المؤمنين أيديهم على كل من بغى أو ابتغى دسيعة ظلم أو إثماً أو عدواناً أو فساداً بين المؤمنين وأن أيديهم عليه جميعاً ولو كان ولد أحدهم. ولا يقتل مؤمن مؤمناً في كافر، ولا ينصر كافراً على مؤمن. وأن ذمة الله واحدة يحبر عليهم أديانهم وأن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس. وإنه من اتبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم. وأن سلم المؤمنين واحدة لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله الأعلى سواء وعدل بينهم. وأن كل غازية غزت معنا يعقب بعضهم بعضاً وأن المؤمنين يبيى بعضهم عن بعض بما نال دماءهم في سبيل الله) وورد أيضاً (وأنه من اعتبط قتلاً عن بينة فإنه قود به إلا أن يرضى وليّ المقتول "بالعقل" وأن المؤمنين عليه كافة لا يحل لهم إلا قيام عليه)، (وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مرده إلى الله والي محمد. وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين)، (وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ومواليهم وأنفسهم إلا من ظلم أو إثم فانه لا يبيغ إلا نفسه وأهل بيته) وتكرر هذا البند مع كل القبائل اليهودية. (وأن على اليهود نفقتهم وعلي المسلمين نفقتهم وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة وإن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم)، (وأن يثرب حرام جوفها لأهل

هذه الصحيفة .وان الجار كالنفس غير مضار ولا إثم .وان لا تجار حرمة إلا بإذن أهلها وانه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فان مرده إلى الله والي محمد رسول الله وان الله على اتقي ما في هذه الصحيفة وابره)، (وأن بينهم النصر على من دهم يشرب وإذا دعوا إلى صلح يصالحونه ويلبسونه وإنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فانه لهم على المؤمنين إلا من حارب في الدين .علي كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم) وأخيرا (أنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو إثم وانه من خرج امن ومن قعد امن بالمدينة إلا من ظلم أو إثم).

لم يعرف تاريخ الإسلام يوما صعبا كآخر يوم في حياة الرسول، وهذه الصدمة الكبيرة وأمواج الحزن تروح وتجيئ على قلوب المسلمين الأوائل فمنهم المذهول ومنهم المندهش ومنهم الذي يبكي ويقول الإمام على سلام الله عليه لو كان الموت يعيده لأنفدنا عليه ماء الشؤون وبعد الحزن على الفراق لم تتوقف الحياة فكل من عليها فان وقال الله (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم)،(وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون).

وتنعى الأرض آخر عهدا بالسماء وينقطع عصر الوحي ويتذكر الصحابة خطبة النبي انه اختار الرفيق الأعلى .وتأتي المحنة الأولى بعد النبي ويجتمع المسلمون الأوائل لاختيار قائدهم الجديد والذي يقوم على أمرهم،فالمسلمون ليسوا في المدينة فقط وإنما صارت اغلب جزيرة العرب تحت لواء الإسلام وكل المناطق لها ولاية إلا المدينة التي تحولت لعاصمة للدولة الإسلامية الجديدة.وكما كانت دار الندوة قبل الإسلام كانت السقيفة بعد الإسلام وهي مكان يماثل البرلمان في وقتنا الحالي كان الناس يجتمعون فيها لمناقشة المواضيع المهمة.وسميت بهذا الاسم لأن لها سقفا وكانت لبني ساعدة ورأي الأنصار أن من حقهم الديني والتاريخي وخدماتهم العظيمة التي قدموها للإسلام وللمهاجرين الذين احتضنوهم هاريين بدينهم من مكة وأنهم اسبق أهل الإيمان وإنهم حموا النبي في ضعف الإسلام وأنهم نصره إلى أن مات في أرضهم وكذلك عاصمة الدولة الإسلامية في المدينة فرشح الأنصار للولاية كبيرهم سعد بن عبادة وهو من كبار الصحابة وبدأوا يطلبون له البيعة وبعضهم بايعه للولاية فعلا وكان بعض الصحابة مثل علي والزبير وغيرهم في بيت السيدة الزهراء بنت النبي وذهب كبار المهاجرين وفيهم أبو بكر الصديق وعمر بن

الخطاب — رضي الله تعالى عنهما — وحاوروهم، وقام عمر بن الخطاب وخطب فيهم واثنى على الأنصار وقال عن النبي (لو سلك الناس شعبا وسلك الأنصار شعبا لسلك شعب الأنصار)، وقال أن النبي أمر أبا بكر ليصبي بالناس فأياكم يحب أن يتقدم أبا بكر فأبوا كلهم فقال الأنصار منا أمير ومنكم أمير فذكروهم بحديث النبي (الإمامة في قریش) فقال : سعد منكم الأمراء ومنا الوزراء فقبلوا بهذا الأمر وبدأت عملية الاختيار الثاني وتم الاستقرار على أبي بكر الصديق وبايعوه كأول حاكم للمسلمين بعد النبي لما له من فضائل فهو صهر النبي وكان معه في الهجرة ومن أول من دخل في الإسلام وقدمت عائلته التضحيات الكبيرة في سبيل الدعوى مع حسن السيرة لأبي بكر قبل الهجرة، وكان سببا في دخول كبار الصحابة في الإسلام من خلال دعوتهم فغالبية المبشرين بالجنة أسلموا على يده وعندما قدمه النبي للصلاة بالناس في آخر أيام مرضه رجع هذا كفة الصديق بالاضافة لقربه الشديد من النبي في حياته. فاختار المسلمون أبا بكر الصديق للولاية ولقبوه بخليفة رسول الله وصارت التسمية واشتهر بها وأصبحت لحكام المسلمين من بعده. وعين الصديق عمر قاضيا كأول قاض في الإسلام وكانت خلافته قصيرة المدة ولكنها قوية الأثر والمفعول حتى وقتنا هذا.

ومن ذلك نستنتج أن الإسلام عرف الدساتير وبنى الدولة على أسس من العدالة والمساواة وعقد المعاهدات وكان لها جيش وقيادة سياسية بخلاف القيادة الدينية الروحية وعرف أنظمة اقتصادية كالزكاة والصدقات وحدد الشوري كأساس للحكم فكانت دولة الإسلام مدنية بامتياز فإن أبا بكر كان خيارا بشريا على أساس الكفاءة وحسن السيرة وجاء تحقيقا للمصالح وليس عيبا أبدا أن يكون اختيار القائد في الدولة المدنية الإسلامية تحقيقا لمصلحة دينية فلم يكن تعينا من الله فهي ليست دولة دينية كما يروج البعض وكان لا ضير ولا إثم من عدمه اختياره للخلافة فالأنصار بايعوا زعيمهم أولا وان كان الاختيار بتوفيق من عند الله فإنه لا يغير القاعدة الأساسية فالصحابة والخلفاء كانوا استثناء. والدليل الأكبر على ذلك أنها عرفت الفصل بين السلطات فalcضاء كان مستقلا عن الخلافة وكذلك قيادة الجيش، والأهم من ذلك الشؤون الدينية ومنها جمع القرآن بإشراف زيد بن ثابت رضي الله عنه لأن الخليفة ليس كالنبي الذي كان حاكما وسياسيا ومفتيا وقاضيا وقائدا للجيش . وليس أدل على أن الإسلام لم يفرض أي نظام للاختيار

بـعكس ما أكد على مبادئ الحكم وحقوق الشعب وواجبات الحاكم أن نجد طريقة اختيار كل خليفة تختلف عن من كان قبله ولكنهم جميعا ساروا على النهج القويم فعمر ولاء أبو بكر في نهاية حياته وكتب عثمان كتاب الولاية قبل موت أبو بكر. وعثمان جاء من اختيار الستة الذين رشحهم عمر واستثنى ابنه وصار عبد الرحمن بن عوف حكما بين علي وعثمان فزهد على فيها، ولكن بعد الفتنة واستشهاد عثمان بايع المسلمون على بن أبي طالب فلم يتأخر عن خدمة الإسلام، وبعده تولى الحسن فرضي الله تعالى عنهم جميعا وألحقنا بهم، وتنازل الحسن لمعاوية وبعده سلكت الولاية مسلكا جديدا.

الخلافة والإمامة

تعد الإمامة هي نقطة الخلاف الرئيسي بين السنة والشيعة، ولكن هذا الخلاف يشتمل على أبعاد كثيرة قد تتعدى مسألة الخلافة إلى جوانب دينية وتاريخية واجتماعية. إذ يرى الشيعة أن الأحق بالخلافة هو الإمام علي وأبنائه من بعده وأن الإمام يعين من قبل الله بشكل مباشر فهو إما منصوب عليه أو يعلن الإمام من يخلفه بوحي أو تأييد من الله. وهذا هو عين الخلاف بين الدولة الدينية في الطائفة الشيعية، وامتدادها الحالي ولاية الفقيه والدولة المدنية عند اتباع مدرسة الخلفاء. فالشيعة يتفقون مع السنة في مسائل كثيرة ولكنهم على اختلاف علمائهم وطوائفهم ومنذ ألف وأربعمائة عام يتنازعون مع السنة في كثير من المسائل التي يمكن التفاوض عنها، وتوضح رواية الكليني في أصول الكافي الخلاف الأساسي وأصله وجذوره في روايته عن زرارة عن أبي جعفر (بني الإسلام على خمسة أشياء: على الصلاة والزكاة والحج والصوم والولاية، قال زرارة وأي شيء من ذلك أفضل فقال: الولاية أفضل لأنها مفتاحهن والوالي هو الدليل عليهن قلت ثم الذي ذلك في الفضل؟ فقال: الصلاة أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وقال الله الصلاة عمود دينكم، قال: قلت: ثم الذي يليها في الفضل؟ قال الزكاة لأنه قرنها بها وبدا بالصلاة قبلها وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: الزكاة تذهب الذنوب. قلت وما الذي يليها في الفضل؟ قال الحج قال الله عز وجل "ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غني عن العالمين" وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لحجة مقبولة خير من عشرين صلاة نافلة، ومن طاف بهذا البيت طوافاً أحصى فيه أسبوعه وأحسن ركعتيه غفر الله له. وقال في يوم عرفة ويوم المزدلفة ما قال: قلت فماذا يتبعه؟ قال الصوم قلت: وما بال الصوم آخر ذلك الجمع؟ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله الصوم جنة من النار قال: ثم قال: إن أفضل الأشياء ما إذا فاتك لم تكن منه توبة دون أن ترجع إليه فتؤديه بعينه إن الصلاة والزكاة والحج والولاية ليس يقع شيء مكانها دون أدائها وإن الصوم إذا فاتك أو قصرت أو سافرت فيه أدبت مكانه أياماً غيرها وجزيت ذلك الذنب بصدقة، ولا قضاء عليك وليس من تلك الأربعة شيء يجزيك مكانه غيره، قال: ثم قال ذروة الأمر وسنامه ومفتاحه وباب الأشياء ورضا الرحمن الطاعة للإمام بعد معرفته، إن الله

عز وجل يقول: "من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظاً" أما لو أن رجلاً قام ليله وصام نهاره وتصدق بجميع ماله وحج جميع دهره ولم يعرف ولاية ولي الله فيواليه ويكون جميع أعماله بدلالته إليه ما كان له على الله عز وجل حق في ثوابه ولا كان من أهل الإيمان، ثم قال أولئك المحسن منهم يدخله الله الجنة بفضل رحمته، وبعض الروايات الأخرى ذكرت أنه لم يناد بشيء من الأركان الخمسة مثل الولاية وإن الناس عملوا بأربعة وتركوا الخامسة والمقصود أهل السنة وأهم تركوا العمل بالولاية.

وذكر الشيخ المفيد وهو من أعلام الشيعة الإمامية أن إمام الدين لا يكون إلا معصوماً من الخلاف لله تعالى عالماً بجميع علوم الدين كاملاً في الفضل من الكل بالفضل عليهم في الأعمال التي يستحق بها النعيم المقيم وباستعراض بعض آرائه: الإمامة بعد النبي في بني هاشم خاصة ثم في علي والحسن والحسين، ومن بعد في ولد الحسين دون ولد الحسن إلى نهاية العالم. رسول الله استخلف أمير المؤمنين في حياته ونص عليه بالإمامة بعد وفاته ومن دفع ذلك قد دفع فرضاً من الدين. ورسول الله نص على إمامة علي بن الحسين وأبوه وجده نصا عليه كما نص عليه الرسول. الأئمة بعد رسول الله اثنا عشر إماماً. كان من أنبياء الله عز وجل حفظة لشرائع الرسل وخلفائهم في المقام. منع الشرع من تسمية أئمتنا بالنبوة دون أن يكون العقل مانعاً لذلك. رسول الله يشفع يوم القيامة لجماعة من مرتكبي الكبائر من أمته وأمير المؤمنين يشفع في أصحاب الذنوب من شيعته وأئمة آل محمد يشفعون كذلك وينجي الله بشفاعته كثيراً من الخاطئين أصحاب البدع كلهم كفار وعلي الإمام أن يستتيبهم عند التمكن بعد الدعوة لهم وإقامة البينات عليهم فإن تابوا عن بدعهم وصاروا إلى الصواب والا قتلهم لردتهم عن الإيمان ومن مات منهم على تلك البدعة فهو من أهل النار. الأئمة معصومون كعصمة الأنبياء ولا يجوز منهم صغيرة إلا ما قدم ذكر جوازه على الأنبياء. لا يجوز من الأئمة سهو في شيء من الدين ولا ينسون شيئاً من الأحكام. ليس بواجب عصمة ولاية الأئمة وواجب علمهم بجميع ما يتولونه. للإمام أن يحكم بعلمه كما يحكم بظاهر الشهادات. يجوز أن تغيب عن الإمام بواطن الأمور فيحكم فيها بالظواهر وإن كانت على خلاف الحقيقة عند الله تعالى. العذر الحاصل

لأئمتنا من ترك إقامة الحدود وتنفيذ الأحكام هو عدم تمكينهم منها من قبل من جعل لنفسه حق إقامة الإمام من أهل الحل والعقد.

وأخرج الكليني من حديث محمد بن يحيى عن ابن أبي نصر (قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام إذا مات الإمام بم يعرف الذي بعده؟ فقال للإمام علامات؛ أن يكون أكبر ولد أبيه ويكون فيه الفضل والوصية ويقدم الركب فيقول إلى من أوصى فلان؟ فيقال إلى فلان والسلاح فينا بمرتلة التابوت في بني إسرائيل تكون الإمامة مع السلاح حيث كان). وزاد في رواية (وأما المسائل فليس فيها حجة) والمقصود بالسلاح هو سلاح النبي كما ورد في بحار الأنوار ويرمز للعلم.

روى الصديق في معاني الأخبار (عن النبي صلى الله عليه وآله: خلقت أنا وعلي بن أبي طالب عليه السلام من نور واحد نسب الله يمينة العرش قبل أن يخلق آدم بألفي عام فلما ان خلق الله آدم جعل ذلك النور في صلبه ولقد سكن الجنة ونحن في صلبه ولقد هم بالخطيئة ونحن في صلبه ولقد ركب نوح السفينة ونحن في صلبه ولقد قذف إبراهيم في النار ونحن في صلبه فلم يزل ينقلنا الله من أصلاب طاهرة إلى أرحام طاهرة حتى انتهى بنا إلى عبد المطلب فقسمننا بنصفين فجعلني في صلب عبد الله وجعل عليا في صلب أبي طالب وجعل في النبوة والبركة وجعل في علي الفصاحة والفروسية) وفي رواية أخرى (فإما النبوة لمحمد عبدي ورسولي وأما الإمامة فلعلي حجتي وولي ولولاهما ما خلقت خلقي). وورد في الكافي من حديث محمد بن سنان عن أبي جعفر الثاني الجواد عليه السلام (أن الله تبارك وتعالى لم يزل متفردا بوحديته ثم خلق محمد وعليا وفاطمة فمكثوا ألف دهر ثم خلق جميع الأشياء فأشهدهم خلقها وأجرى طاعتهم عليها وفوض أمورها إليهم فلم يحلوا ما يشاءون ولم يجرموا ما يشاءون ولم يشاءوا إلا أن يشاء الله تبارك وتعالى) ووردت روايات كثيرة عن أن الأئمة يعلمون الغيب منها ستة أحاديث مشهورة في الكافي تحت باب أن الأئمة يعلمون ما كان وما يكون وأنه لا يخفي عليهم شيء ورد بعض علمائهم الأحاديث كلها ومنهم من ضعفها ولم يصحح منها إلا رواية واحدة مثل المجلسي وورد فيها (على لسان الباقر أترون ان الله افترض طاعة أوليائه على عباده ثم يخفي عنهم أخبار السماوات والأرض ويقطع عنهم مواد العلم فيما يرد عليهم مما فيه قوام دينهم؟) وفي روايات عن

الأئمة وشأنهم وخصائصهم ما أورده الكشي عن أمير المؤمنين عن قوله (أنا الأول والآخر والظاهر والباطن وأنا وارث الأرض) أي أول المسلمين وآخر من يدفن النبي، وعندى العلم الظاهر والباطن بتعليم النبي لي وبركة الله على وأنا من يخرج المهدي من أحفادي. ومن ذلك أيضاً ما ورد عن الإمام الباقر في أصول الكافي (نحن وجه الله ونحن عين الله في خلقه ونحن يده المبسوطة بالرحمة على عباده) لكونهم عباداً ربانيين وأولياء الله وفي الحديث ان الله يد وسمع وبصر ورجل العبد الذي يحبه وهل يوجد من يحبهم الله أكثر من الأئمة؟ وفي رواية أخرى (نحن لسان الله ونحن وجه الله ونحن عين الله في خلقه) وذكر المرجع روح الله الخميني أن للإمام مقاما محمودا ودرجة سامية وخلافة تكوينية تخضع لولايتها وسيطرتهما جميع ذرات الكون. إلا ان هذه العصمة المطلقة غير متفق عليها فنراها محدودة عند أصحاب المدرسة الأصولية الشيعية. وكذلك العلم للمعصوم والولاية مقيدة مثل ذلك إذ يرون تفوق بعض الأنبياء على الأئمة في الخصائص أو المراتب ومنهم من أنكر الولاية التكوينية

والتشريعية ووضعهم في مرتبة بين الأسوة والواسطة أي أنهم ينقلون أحاديث النبي إلهاماً أي علماً لدنياً كشفياً. ومثل ذلك بعض الإخباريين.

الولاية التكوينية هي من الأمور التي يتم بحثها عند التعرض للإنسان المعصوم أو الصالح سواء كان نبياً أو إماماً أو ولياً وهي مسألة غير مختصة بالشيعية وحدهم بل بالمسلمين كلهم ومن غير المسلمين. الولاية التكوينية هي القدرة على التصرف بدون توسط البدن، والقدرة قد تكون مطلقة أو مقيدة على حسب حدود التفويض الإلهي أي أنها قدرة الولي على فعل الأشياء إن أراد بإرادة الله وتسديده. وهي مثل المعجزات والخوارق التي أجراها الله على أيدي الأنبياء والأولياء والأوصياء التي أوردها القرآن في قصصه. ويمكن إثباتها على ٣ محاور: وهي علم الكتاب والقدرة على المعجزات وقدرة الأئمة على فعل ما يريدون. فالولاية التكوينية والولاية التشريعية تالية لولاية الله أي أن ولاية الله ولاية كبرى وما بعدها ولايات صغرى فالإمام له ولاية سياسية ودينية وتكوينية وتشريعية وعرفانية هذا بحسب اختلاف المدارس الفقهية. وأن العامل الأساسي في الولاية التكوينية عند غالبية الشيعة هي أنها تفويض من الله لهم لعلو منزلتهم للتصرف في الكون

بإذن الله ومشيتته .ومن امثلتها إحياء الموتي وشفاء المرضى للمسيح وكسبي سليمان ووزيره العالم بالكتاب وقصص موسى والخضر وذوي القرنين وغيرها كثير. والولاية التشريعية ترتبط بالحلال والحرام والواجب والمباح والأحكام الشرعية بشكل عام وعلى كل حال اتفق المسلمون على أن للصالحين وفي مقدمتهم آل البيت لهم منزلة تكوينية وتشريعية وان توسع فيها الشيعة أكثر لقولهم بعصمة الأئمة واختلفنا على مقدار وسعة هذه القدرة ضمن دائرة محددة وكذلك الخلاف هل الولاية التكوينية دائمة، أم انها عرض زائل .ويشترط في الولاية التكوينية عدم الإجبار لتنافي ذلك مع العدل فقبولها أمرا اختياريا لقبول الحق.

ويظهر تشابه شديد في أساليب الفكر السني مع الشيعي وإن اختلفا في الوسائل والأدوات والنتائج، ولكن التطابق واحد يرجع لوحدة الأصل وهو القرآن والاختلاف لاختلاف الفروع من حيث مصادر تلقي السنة النبوية، فالعدول والثقات في الطائفتين من الرواة غير متفق عليهم ولكن هناك اتفاق على بعض الصحابة كثقات وعدول ونجد تشابه كبير بين المدرسة السلفية ومدرسة أهل الحديث والمدرسة الأصولية والمدرسة الإخبارية ونجد البعد الفلسفي العقلاني الراقي في الأشعرية والماتريدية والمتصوفة بشكل عام يشابه المدرسة العرفانية الشيعية. بل أن الملاحظ ان عددا من علماء الطائفتين أخذ العلم عن المخالفين فإبي حنيفة رحمه الله أهم فقهاء المذاهب السنية أخذ العلم عن الإمام جعفر الصادق ونجد تأثير مؤلفات ابن عربي وأبي حامد الغزالي وابن سينا وفخر الدين الرازي واضحا في كتب الشيعة الكبرى.

وردت الإمامة في القرآن بطرق وصيغ مختلفة متحذثة عن موضوعات كثيرة وبالطبع لا يعتبرها السنة دليل على النص لائمة الشيعة فقد قال الله عن أئمة الضلال والباطل مثل فرعون (وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون) وهذا مثال أولياء الشيطان أما أولياء الرحمن مثل الأنبياء والصالحين واتباعهم فقد ضرب الله مثلا سيدنا موسى عليه السلام (ونريد ان نمن على الذين استضعفوا ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين) وجاءت الإمامة في القرآن بمعنى القائد أيضا فيحكي القرآن عن يوم القيامة (يوم ندعو كل أناس بإمامهم) وأورد القرآن معان مشاهمة مثل الملك، ولكن الإمامة بمعناها

الواسع المشتمل على رئاسة الدين والسياسة سواء كانت لنبي، أو لولي أو مرشد صالح عادل مؤيد من الله وهذا المعنى يختلف عن الملك الذي هو مجرد معني سياسي ومثال على ذلك (وكان ورائهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا) أو في سورة يوسف أورد الله قصة العزيز، وهو وزير أو قائد أو محافظ وهي تختلف عن الإمامة أيضًا ووصف الله حاكم مصر بالملك كقوله (وقال الملك إني أرى سبع بقرات)، (صواع الملك)(في دين الملك)، ولكن الإمامة بالمعنى الذي عند الشيعة وهو الإمام المؤيد من الله وهو ليس بنبي ورد في موضعين أساسيين(وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون)،(وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين) وبرغم أن الآيات تأتي في سياق الحديث عن بني إسرائيل، أو الأمم السابقة من المؤمنين بشكل عام إلا أن حكمها يسري على المسلمين واتفق المسلمون أن من صفات الأئمة التقوى والالتزام بأمر الله والصبر واليقين والصلاة والزكاة وهي صفات القيادة الربانية الغير مرتبطة بزمان ولا مكان لأنها ثابتة في كل الأمم وهو ما يؤكد القول بأن حكم الآيات يسري على المسلمين أيضًا، ولكن الخلاف هو في تفسير معني الأئمة فالشيعة يحصروهم في آل البيت والإثنا عشر إمام فقط أما السنة فلهم وجهة نظر متوسعة، وهي أن كل ولي صالح تتوافر فيه هذه الصفات هو من الأئمة وبالطبع يتقدمهم ال البيت والصحابة والاولياء والصالحين وحتى الحكام، أو العلماء العاملين الأتقياء.وفي قوله تعالى (أن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا)والأمة تعني الجماعة أو الطائفة ولكن إذا اجتمعت الصفات الخيرية في شخص واحد فهنا أمة تعني إماما وقد غالي بعض الشيعة في وضع مرتبة الإمام أعلى من النبوة مستدلين بهذه الآية أي أن إبراهيم كان نبيا ثم ارتقي لدرجة الإمامة.

الروايات عن النبي في هذا الموضوع متعددة عند الطائفتين وتختلف درجة صحتها ما بين صحيح عند الطائفتين وما بين الصحيح عند أحدهما دون الآخر وما بين الاتفاق في المعني مع اختلاف ألفاظ الرواية وما بين الضعيف الموضوع الباطل إلى غير ذلك.ومما أحدث إشكالا عند دراسة الروايات التي تتحدث عن الإمامة أو الخلافة أو الولاية والإمارة بشكل عام عدم الاتفاق بين الطائفتين على الرواة وصدقهم،إلا القليل منهم

وحتى اختلاف مواضيع البحث الفقهي بين الطائفتين فما هو مقبول في طائفة لا يمكن قبوله في أخرى. وإن كان قد أخذ بعض المحدثين الروايات عن الطائفة الأخرى، وأوردوا رجالها في كتبهم في كتب الرجال أو علم الجرح والتعديل إلا أن الرجوع للقران لا يعتبر فيصلا حاسما في تلك المسألة لاختلاف التفاسير بين الطائفتين وحتى اختلاف المؤرخين للأحداث كل بحسب وجهة نظره الخاصة وتبقى التقية عند الشيعة مسألة يصعب معها التحقيق وشيوع التأويل عندهم بخلاف أهل السنة الذين لا يعملون بالتقية، وغالبيتهم لا يتأولون، وإن قاموا بتأويل بعض النصوص وضعوا لذلك ضوابط واضحة صارمة، ولكثرة أعداد أهل السنة تقريبا أربعة أو خمسة أضعاف أعداد الطائفة الشيعية فكتبهم هي الأشهر والأكثر انتشارا. وتظهر هذه المشكلة بوضوح في عدة مؤلفات تنسب لأهل السنة وكل ما فيها شيعي فالأفكار والأسلوب والصياغة تختلف تماما عن مناهج أهل السنة وحتى الأحاديث، والتفاسير الواردة فيها لا توجد مثيلاتها في كتب السنة وإنما تكثر في كتب الشيعة مثل غاية المرام للسيد هاشم البحراني (اعتمد على مصادر سننية) وكتاب على القرآن لآية الله العظمي السيد صادق الشيرازي حيث اعتمد في بحثه على كتاب ينابيع المودة الشهير للحافظ القندوزي الحنفي وكتابين للحاكم الحسكاني الحنفي وهي أكثر المؤلفات السننية (ظاهرا) التي يستدل بها الشيعة وكذلك مشكلة الضبط التاريخي فتشابه الأسماء بين العلماء يوقع في لبس فمثلا من أكابر علماء السنة الإمام الجويني إمام الحرمين وصاحب كتاب فرائد السمطين إبراهيم بن محمد الحموي الشافعي الجويني ومن يقرأ كتب الحمويي يجدها شيعية قلبا وقالبا ومثل ذلك العالم السني الكبير والمؤرخ ابن جرير الطبري الذي يختلف عن الشيعي ابن جرير بن رستم الطبري صاحب كتاب الإمامة والسياسة، وله أيضا تاريخ الرسل والملوك والأحاديث التي تتحدث عن الإمامة عند الشيعة، بالطبع كثيرة ولكن عند السنة منها ما يخالف الرأي الشيعي ومنها يوافقه ولكن الحديثين الأشهر عند أهل السنة (من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية) (من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية) (من مات وليس عليه إمام مات ميتة جاهلية) وكلها بين الصحيح والحسن ولكن الخلاف أن الشيعة حصروا الإمامة في أئمتهم الاثني عشر أما السنة فيعتبرون كل ولي أمر هو إمام ولتفسير هذا المعنى عند السنة حديث (أن السامع المطيع لا حجة عليه وإن السامع العاصي لا حجة له) وورد أيضا بطرق صحيحة، والفاظ

متعددة أن بعد النبي إثنا عشر إماماً أو اثنا عشر أميراً كعدة نقباء بني إسرائيل كلهم من قريش وأنهم يقيمون الدين، ولكن السنة لا يقولون بالنص على الاثنا عشر الثابتين المعينين عند الشيعة.

وبرغم كل هذا الخلاف حول السلطة والحكم والروايات والتفاسير ومنازل الأولياء والصالحين إلا أن ما أجمع عليه المسلمون هو منزلة العظيمة لآل البيت التي لا يضاهيها منزلة فوضع الله عز وجل ذكرهم في كل ركعة من صلوات المسلم وأنزل الله فيهم خاصية الطهارة التطهيرية (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) وضح من الحديث المعروف بحديث الكساء برواية أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها في روايات السنة والشيعة على حد سواء وبألفاظ مختلفة، ومع تعدد الرواة فإن رسول الله كان بيئتها على منامة له عليها كساء خيري فجاءت فاطمة رضي الله عنها ببرمة (وعاء به طعام) فقال النبي: (ادعي زوجك وابنيك حسناً وحسيناً فدعتهما فيمنعهم يأكلون إذ نزلت على رسول الله "إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً" فأخذ النبي بفضلة أزواره فغشاهم إياها ثم أخرج يده من الكساء وأوماً بها إلى السماء، ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ثلاث مرات) فقالت السيدة أم سلمة وأنا يا رسول الله قال: انك على خير مرتين. وبالعودة إلى سياق الآيات في القرآن فإنها معني عاماً لآل البيت، وهم كل من حرم الصدقة بعد النبي من أهله غير المفهوم الضيق عند الشيعة المقتصر على الحديث فقط، فالسورة بشكل تتحدث عن النبي وحياته الاجتماعية وأنه قدوة للمؤمنين، وإن آل بيته قدوة أيضاً وتعطينا صورة عن تعامله مع أزواجه وبناته لكي يتعلم منها المؤمنون والمؤمنات ففي بداية السورة نجد (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض) أي أن قربي النبي تفوق كل قربي وعلي المسلم أن يفضل النبي وأهله على نفسه وأهله. وعن سياق الآيات (يا أيها النبي قل لأزواجك) ويستمر الخطاب (يا نساء النبي لستن كأحد من النساء) حتى آية التطهير وبعدها يدل الله المسلمين على كل خير في إشارته لاتباع النبي وآل بيته وأزواجه لانه الأسوة الحسنة كما ورد في نفس السورة فيقول الله (إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات) حتى نهاية الآية (أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً). ومن آيات القرآن في هذا المعنى أيضاً (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى) والمعروف

أن النبي لم يطلب من المسلمين غير تلك المودة لآل بيته وهو لم يطلبها من تلقاء نفسه بل هي أمر من الله تعالى.

الروايات والأحاديث في هذا الشأن كثيرة، وتتنوع درجاتها بين الاتفاق بين الطائفتين والوضع والمغالاة الغير مقبولة، ولكن مما اتفق عليه حديث الثقلين أو حديث الغدير وهو عند أهل السنة ثابت وصحيح في حجة الوداع، ففي رواية عند مسلم عن زيد بن أرقم أن النبي قام خطيباً بماء يدعي حماء بين مكة والمدينة ثم قال (أما بعد :ألا أيها الناس إنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال :وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي)، وعند أهل السنة أهل البيت يشمل أهل الكساء وزوجات النبي وآل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل العباس. وفي روايات أخرى عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه (إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله عز وجل وعترتي كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي وإن اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض فانظروني ثم تخلفوني فيهما). واستخرج العلماء معانٍ أعمق من الحديث بربطه بحديث (إني تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا كتاب الله وسنتي) وفي رواية أخرى (وعترتي أهل بيتي) وهي أن آل البيت هم مصدر أساسي للسنّة النبوية الصحيحة ويدل على ذلك روايات عائشة وابن عباس رضي الله عنهما للأحاديث، وحديث (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين) فأوجب النبي الأخذ بسنة الإمام على وباقي الخلفاء. وفي شأن الخلافة (الائمة من قريش ما حكموا فعدلوا ووعدوا فوفوا واسترحموا فرحموا)، (الأمراء في قريش أبرارها أمراء ابرارها وفجارها أمراء فجارها)، (إن الأمر لا يزال في قريش ما بقي منهم اثنان) (أن هذا الأمر في قريش لا يعاديه أحد إلا كبه الله في النار على وجهه ما أقاموا الدين) وروى أبو الشيخ عن علي كرم الله وجهه قال: (خرج رسول الله مغضباً حتى استوى على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ما بال رجال يؤذونني في أهل بيتي، والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى يحبني، ولا يحبني حتى يحب ذريتي)، ولذلك قال أبو بكر رضي الله عنه: (صلة قرابة رسول الله أحب إلى من صلة قرابتي) وروى أحمد مرفوعاً (من

أبغض أهل البيت فهو منافق). وعن أبي سعيد أنه قال: (لا يبغضنا أهل البيت أحد إلا أدخله الله النار) رواه الحاكم وصححه على شرط الشيخين. وعن أبي سعيد أنه قال: (اشتد غضب الله على من آذاني في عترتي) رواه الديلمي. اختلفت درجة صحة بعض الروايات في شأن أهل البيت بين الطائفتين مثل حديث السفينة (إنما مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبها نجي ومن تخلف عنها غرق)، (في كل خلف من أمي عدول من أهل بيتي ينفون عن هذا الدين تحريف الضالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين إلا وان أئمتكم وفدكم إلى الله تعالى فانظروا من توفدون)، (من أحب أن يحيا حياتي ويموت ميتتي ويدخل الجنة التي وعدني بها ربي وهي جنة الخلد فليتل علما وذريته من بعدي فإنهم لن يخرجوكم من هدي ولن يدخلوكم باب ضلالة)، (إنما مثل أهل بيتي فيكم كباب حطة من دخله غفر له). وأورد الصدوق في الخصال والامالي (حي وحب أهل بيتي نافع في سبعة مواطن أهوالهن عظيمة: عند الوفاة وفي القبر وعند النشور وعند الكتاب وعند الحساب وعند الميزان وعند الصراط).

ويبقى القول الأوضح والعظم في تلك المسألة هو حديث (احبوا الله لما يغذوكم به من نعمه واحبوني لحب الله واحبوا أهل بيتي لحيي)، في رواية عم بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله (كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة الا نسبي ونسلي) على الرغم من ذلك يصير دعاة الفتنة من المتطرفين كالنواصب أو غلاة الشيعة على الاساءة للرموز وللثوابت كالإهانة والسب واللعن والتقليل من القدر والوصف بالنفاق والردة على الخلفاء الأربعة أو أمهات المؤمنين أو أهل البيت رضي الله عنهم جميعا، وهو ما لايرضاه ولا يقره غالبية المسلمين من الطائفتين.

الخلافة على منهاج النبوة

لم يفرض الإسلام نموذجاً محدداً لصورة الحكم ليَجبر الناس عليها، ولكن وضع في القرآن أساس الحكم وبيّن السنة نماذج تطبيقية فوضع ظروف الزمان والمكان والثقافة والحضارة في اعتباره حينما فرض التشريع وجعلها قسمين قسم ثابت في أصل العقيدة وأوضحه النصوص في القرآن والسنة وهي شروط الحكم في الإسلام كالعدل والشورى والمصلحة العامة والمسئولية الجماعية والاستعانة بأهل العلم والمتخصصين والجزء الآخر يشمل حديث (أنتم أعلم بشؤون دنياكم) والسياسة والحكم من أمور الدنيا كقول عمر بن الخطاب عن أبي بكر الصديق يوم السقيفة أن رسول الله ارتضاه لديننا أفلا نرضاه لديننا ومقولة ابن تيمية أن الكفاءة هي معيار الحكم وليس أي معيار آخر وجري العرف في التراث الإسلامي أن القائد العسكري القوي الفاجر أفضل من الضعيف التقي العابد، لأن نفع القوي على فساد خلقه إنما يمتد للجنود أما فساده فيقتصر على نفسه وحسابه على الله. ولذلك انتشر الإسلام في دول كثيرة وبين أمم متعددة مختلفة حضارياً وثقافياً ولم يحدث أي تعارض بين الحضارة والتقدم والإسلام، لأن التشريع الإلهي به مرونة تختلف عن التشريع البشري في المسائل الدينية. وإنما الخلاف أن القانون البشري لن يحل محل القانون الإلهي أبداً في المسائل الدينية والعقائد وإنما القانون البشري يأتي لحاجات الناس المعيشية والحياتية، ومن هنا جاء الإسلام كرسالة وضعت الأسس الدينية الثابتة من عند الله وحده، فلا تكون في يد حاكم يشرع من دون الله ما لم يترل به سلطاناً فيستعبد الناس ويدخل النار والجنة طبقاً لهواه أو فهمه أو اجتهاده لتستمد الأمم المسلمة على اختلافها المبادئ التي تعيش عليها وتتطور لتصير في مقدمة الأمم علمياً وفكرياً وحضارياً فالهدف من خلق الإنسان بعد عبادة الله هو تعمير الأرض .

المسلم لايجد تناقضاً، أو صعوبة في فهم فكرة التشريع المتكامل وأن هذا المنهج وضع أسساً لحرية التفكير والتعبير، ووضع قاعدة شرعية : وهي المصلحة وربطها بالشرع في خلاف لما يروج له أنصار تيارات الإسلام السياسي الذين بعدوا كثيراً عن المفهوم والمضمون الأساسي للحكم في الإسلام.وقدم الإسلام نماذج متعددة ليس للحكم فقط

وإنما في كل مجالات الحياة فاشتمل واحتوي كل المذاهب والأفكار الإنسانية والوحي الإلهي، بل والأديان الأخرى كجزء أساسي من هيمنة كتاب المسلمين وهو القرآن على كل الكتب السابقة بل والكتب كلها ولا بد من أجل اكتمال فهم الإسلام والإيمان به إقامة الحجة الإلهية بالرسالة وعلي المسلمون اختيار ما يناسبهم من هذه النماذج التي صحتها وأحكامها الإسلام. فلا يجعل الله المسلمين معرضين للتجربة والخطأ بل قدم لهم إرشادات طريق الصواب ووجههم لذلك ولعل الملحدون من أصل إسلامي لم يستوعبوا طريقة حساب السيئات والحسنات، وآلية الحساب و فكر الثواب والعقاب، ولعل هذه القضايا تخرج من دائرة الخلاف الديني العقائدي إلى فكر فلسفي بحث مما جعل الأصوليين يتعدوا عن أي تفكير في هذه النقاط بل وخوفهم من امتداد السؤال الغيبي أن تطول أفكارهم ماهية الإله و تتطرق عقولهم إلى الملا الاعلي ويبدأوا بأسئلة يعجز عن الرد عليها هؤلاء العلماء ضعيفي الخيال قليلي المهمة مما جعل الإيمان في الدين الإسلامي تجربة وعلاقة خاصة بين المسلم وبين الله. بعد السرد التاريخي والشرعي والعقلي لمسألة تولي الحكم في الإسلام يتضح أن الخلافة ليس فريضة وإنما هي اجتهاد بشري لأنها لم ترد بالنص عليها وإن الدولة الدينية بمفهومها الشرعي الإسلامي لدى أهل السنة هو ولاية الإمام المهدي سلام الله عليه وبذلك يخالف مفهوم الإمامة الشيعي المتعارف عليه وبالإمكان تقسيم الإمامة إلى ثلاثة أقسام إمامة سياسية، وهي الحكم وإمامة فقهية وهي المرجعيات الدينية المختلفة وإمامة عرفانية أو معنوية وهي التي تسوق الناس إلى الكمال والإمامة بمفهومها الشيعي. وولاية الفقيه أحد صور الدولة الدينية وهو مخالف للمفهوم السني ولكن بوضع ملاحظات حول قضية الإمامة وإنما اجتهاد أيضاً إذ لا نص صريح عليها، لا في القرآن ولا حتى في كتب المذهب المتقدمة مثل نهج البلاغة للإمام علي وإنما ظهر في عهد الإمام جعفر الصادق مؤسس المذاهب والمدارس الإسلامية السنية والشيعية فقد أخذ من علمه علماء مذاهب الطائفتين ولذلك فالمذهب الجعفري شائع في فقه السنة ويعتبر في ما نقلت كتب الشيعة من روايات لتأسيس نظرية الإمام فكلها من الإمام الصادق سلام الله عليه. ومن هنا يتضح مبدأ الحاجة والانسجام فمع استقرار الحكم لبني أمية ولعدهم بني العباس لم تعد حاجة المذهب لإمامة سياسية وإنما حاجة فقهية فاحتاج الشيعة للتمييز لقلة عددهم أما عند أهل السنة فالوضع يختلف قليلاً إذ يرون يوم الهجرة إرشادهم ودليلهم فأبو بكر رضي

الله عنه هاجر مع النبي ونام الإمام على مكانه ومن هنا يبدأ الحكم الرباني وينتهي بهما. وما رسخ لدى أهل السنة ان عطاء الله واسع فمواضع التفضيل متعددة فلا أفضلية مطلقة مثلاً لأبي بكر على الإمام علي، أو لعائشة على خديجة فهذا فهم قاصر فكل صحابية وصحابي وقبلهم آل البيت وأمّهات المؤمنين لهم خاصية تميزهم عن الآخرين فكان كل ما ورد عن الإمام علي أفضلية دينية أو علمية وليست سياسية ولذلك اختار المسلمون الأفضل سياسياً وهذا دليل آخر على مدنية الدولة الإسلامية. أصبح التشيع مذهب كل معارضي الدولة لأنه لا مواطنة فتتخذ كل جماعة ديناً، أو مذهباً يمثلها. وبتعدد النماذج التي استوعبها الفكر الإسلامي فإننا نرى مبادئ الليبرالية والرأسمالية والاشتراكية والقومية فكان أول من أرسى دعائمها ويبقى تطور الزمن والفكر الإنساني عاملاً حاسماً في الأخذ بأفكار السياسة الحديثة وعلومها كأى علم أو فكر وإنما. لدى المسلمين رصيد كبير في الفكر والتراث بإمكانهم العودة إليه والأخذ به، وتطويره كمرجع أساسي للسياسة على اختلاف التوجهات والأفكار والتيارات في الأمم الإسلامية.

من أهم نماذج الحكم في الإسلام إذا حكمنا عليها بمعاييرنا الحالية ممكن اعتبارها متقدمة جداً ومدنية وحضارية مثل :

١- أبو بكر الصديق (النموذج الليبرالي):

غير أن الصديق رضي الله عنه أول خليفة بعد النبي في أصعب فترة على المسلمين بعد رحيل النبي فقد كان شخصية فذة معروفة بحسن السيرة والسمعة والاستقامة، حتى قبل الإسلام كما أنه من أوائل المسلمين وصهر النبي واسهم بماله في عتق المسلمين العبيد من أيدي الكفار واقنع عدد كبير من المسلمين الأوائل بدخول الإسلام وأثنى عليه النبي كثيراً، وكذلك أحبه الصحابة جميعاً ونزلت آيات القرآن تمدحه في أكثر من موضع ومنها (وسيجنبها الأتقي الذي يؤتي ماله يتركي)، (ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة)، (ألا تحبون أن يغفر الله لكم) وموقفه في حادثة الإسراء والمعراج عندما سأله الناس ان كان يصدق خبر النبي فقال ان كان قالها فهو صادق. من أهم أعماله وإنجازاته جمع القرآن وحروب الردة وبدء الفتوحات الإسلامية وتثبيت الدولة وقبلها تثبيت الدين وحفظه. وفي الهجرة كان (ثاني اثنين إذ هما في الغار) (إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا) فظل وفياً

لمعية رسول الله وظل الله معه حتى وفاته فهو الشيخ الحكيم في الجاهلية والإسلام لأن الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام وكان من أولي الفضل. أما سياسته فاتسمت بالآتي :

١- عرف المسلمون في عهده أفضل منظومة حريات على مدار تاريخهم. فكان نهج من بعده التحكم في تفاصيل الحياة اليومية للمسلمين والتدخل في شؤونهم مثل عمر بن الخطاب، فنظام الصديق لم يكن شموليا أبدا بل كان الصديق محبوب الشعب المسلم يلتقونه في الطرقات ويجالسونه ويأخذ رأيهم وتحقق في عهده المنهج الرباني للحكم من حيث العدل والإحسان والبر والتقوى، وكفل حرية الفكر وحرية التعبير واشرك معه الأمة في الحكم وخير دليل خطبته الشهيرة "إن أحسنت فاعينوني وإن أسأت فقوموني" فكان باب لكل صاحب حاجة ومسألة كانه فرد من الشعب فذابت الدولة مع الشعب في كيان واحد، فلا نستطيع التمييز بين الحاكم والمحكوم في امتزاج رائع ولم ينفرد برأي أبدا. وغير ذلك من رحمته ورقة قلبه وحنوه فكان أبا للشباب وأخا للشيوخ وحافظ على حقوق المرأة ومكتسباتها ولم يضطهد مخالفًا، ولم يعذب ولم يقتل وكان الأطفال في المدينة يقولون له يا ابتاه ويحبونه لحسن خلقه ولين طبعه وكان بلغة هذه الأيام دبلوماسيا بارعا فاستطاع يوم السقيفة أن يستميل الأنصار ويوحد جبهة المسلمين وعهده عهد استقرار، ولم يشهد أي نزاعات داخلية وامتاز بالتقوى والعمل الصالح وكثرة البكاء من خشية الله وبقوة الإيمان.

٢- سيادة القانون: اتخذ قانونا إسلاميا نفذه بصرامة بلا أي تهاون أو تفاوت أو تمييز وهو أول من عين قاضيا مثل عمر بن الخطاب وقضية فدك الشهيرة مع الزهراء عليها السلام خير دليل على عدم المحاباة وهو الذي قال: إن أقرباء النبي وأهله أحب إليه من قربته وأهله وقصته مع خالد بن الوليد بعدما عاد من إحدى الغزوات وطالبه عمر بان يحكم عليه حكما شديدا لانه أخطأ في فهم بعض الآيات في التعامل مع الأسرى، فقدّر بحكمته ان خالد بن الوليد قائد حربي ليس بفقيه ولا بعالم، فغفر له خطأه وما قام به في حروب الردة وإصراره على قتال مدعي النبوة والمرتين، أو من رفض دفع الزكاة قائلا والله لأقاتلنهم على عقال كانوا يؤدونها لرسول الله وأكد المسألة ليست في العقال فهو لا يساوي شيئا وإنما مسألة مبدأ ان القانون يطبق فوق الجميع ليقتردي به من بعده.

٣- تكافؤ الفرص والمساواة والمواطنة كل هذه المبادئ واضحة في عهد الصديق، فهو لم يعين أياً من أقاربه ولا أبنائه في أي منصب. وعندما مرض وأحس بدنو الأجل أصر على اختيار أكفأ رجاله وهو عمر بن الخطاب ليكون خليفة من بعده رغم تحذير الصحابة له إلا أنه رأى الصالح العام للمسلمين، ولم يعرف في عهده تفضيل قبيلة على قبيلة أو عائلة على عائلة أو عرق أو جنسية على أخرى فالكمل سواء تفصل بينهم الكفاءة والقدرة والإمكانية في اختيار الولاة والمسؤولين، وقيادات الجيوش واستمرار لسياسة الدفع بالشباب فكان احد قادته أسامة بن زيد وهو قائد جيش فيه من كبار الصحابة الكثير وفي خطبته الشهيرة قوله "إنما وليت عليكم ولست بخيركم" ودعا الله أن يوفقه لهذه المسؤولية الكبرى فكان التلاحم الشعبي الإسلامي بين الصديق والصحابة والقبائل العربية ضد الاعداء وهو من اهم عوامل نجاح الخلافة.

٤- الفصل بين السلطات فكان لعمر القضاء وزيد بن ثابت رئاسة لجنة جمع القرآن والبريد والكتابة والمراسلات الخارجية وأبو عبيدة بيت المال وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب مستشارين وثبت كل الولاة الذين عينهم النبي.

٥- الاهتمام بعلوم الدين وتطويرها فبدأ الفقهاء من الصحابة يعلمون الناس الدين ويجتهدون في التفسير ويدونون العلم لمن بعدهم من تلاميذ وعرف المسلمون تنوع الآراء والاجتهاد فصارت مصادر العلم الشرعي القرآن ثم السنة ثم الاجماع ثم القياس اضافة إلى ان الخليفة كان عالماً بتاريخ العرب والأنساب.

إنجازاته وفتوحاته الحربية كبيرة جداً بالنسبة للوقت الصغير الذي قضاه في الخلافة وكان رمزا للين والرفق الذي لم يعرف المسلمين بعده لما ورد في الأثر (إن الله يعطي على اللين ما لا يعطي على الشدة) وهي نهج من جاءوا بعده الصديق ولكنهم لم يصلوا لمكانته أبدا رضي الله عنه وأرضاه.

٢- عمر بن الخطاب (النموذج الاشتراكي):

أكاد أقول وأنا مستريح وموقن تماما إن أعدل حاكم في التاريخ بعد الأنبياء كان عمر بن الخطاب ليس لأنه صحابي ومبشر بالجنة وثاني الخلفاء ودعا النبي الله أن يعز به الإسلام وسمي فاروقا لأن الله فرق به بين الحق والباطل وعمر كان من الأولياء ومن أهل السلوك إلى الله ومن أهل الطريق ومن العارفين الذين تكشف لهم الحجب ويأتيهم إلهام السماء وتوفيقها فعمر طريقة مجتمعة في شخص وهو مدرسة سلفية في نفس الوقت وهو أشد المسلمين في الحلال والحرام ولو كان نبيا بعد الرسول لكان عمر ووافق الوحي رأيته في مواضع كثيرة وشهد له القريب والبعيد والعدو والصديق والمسلم والكافر بعدله وتواضعه وزهده وتقشفه وورعه فكان الخليفة الناسك الذي اجتمع بقبوره مع النبي وهو الذي يحب النبي أكثر من نفسه التي بين جنبيه ويعتبر عمر الفاروق — رضي الله تعالى عنه — مؤسس الدولة الإسلامية بامتياز وكان سيفاً في الحق ومؤسس نظرية من أين لك هذا وكان شديداً على الوالي والمستول ورحيماً بالمواطن يدفع الحكومة لخدمة المواطنين وكان شديد التقوي محبا للطاعة مبغضاً للمعصية رضي الله عنه.

أهم إنجازاته ومعالم سياسته :

١- العدل: المقولة الأشهر إذا سئلت عن العدل في بلاد المسلمين فقل قد مات عمر وأسلم مبعوث ملك الروم لما رآه نائماً في طرقات المدينة بلا حراسة قائلاً حكمت فعدلت فامنت فنمت يا عمر. وواقعة المواطن المصري المسيحي الذي سبه وضربه ابن الوالي سيدنا عمرو بن العاص واضحة لم يفعلها أي حاكم مسلم بعده فاقصص للمصري على حساب ابن الوالي وهو القرشي وأبوه من أصدقاء عمر منذ الطفولة ولكنه العدل ومسئولية وأمانة المسلمين في رقبته ومسئولية السير على نهج النبي وأبو بكر الصديق في رقبته فافواها حقها فوفقه الله كان عمر يبكي خوفاً من أن تعثر دابة فيسأله الله لماذا لم يمهّد لها الطريق. الأكثر من ذلك أن المسلمين غنموا بعض العطور وحكم بتقسيمها كسائر الغنائم وقامت زوجته بتقسيم العطر فقام برد ثمنه النبي بيت مال المسلمين خوفاً من أن تعلق الرائحة في

يديها اكثر من غيرها من نساء المسلمين ، وكان يتعسس ليلا ليعلم احوال الرعية وقصة الفتاة الصغيرة الأمانة التي زوجها ابنه بائعة اللبن مع أمها معروفة للجميع وكان عبد الله بن عمر من افقه واعبد المسلمين الذين تلقوا التربية النبوية كاجليل الثاني من الصحابة ولم يعين عمر اي من اقاربه في اي منصب وعاش عمر حياته فقيرا جدا.

٢-العدالة الاجتماعية :طبق عمر العدالة الاجتماعية كما يجب ان تكون في حين فشلت كل التجارب اليسارية والاشتراكية والماركسية من روسيا إلى الصين إلى أمريكا الجنوبية إلى شرق أوروبا في التطبيق الكامل للشيوعية وتحقيق العدالة الاجتماعية والمساواة النظرية فكان لابد من وجود تمييز لفئة أو مصلحة عليا أو مستفيد أكبر من النظام وعلي اقل تقدير يكون الحزب الحاكم مما استدعي تطوير النظريات اليسارية وظهور الماوية والستالينية واللينينية وغيرها كامتداد لأفكار ماركس الأولى الذي ذكر بنفسه عن نظريته انه لم يصل فيها إلى الكمال في تحقيق العدالة الاجتماعية أما عند عمر بن الخطاب فقد حققها وكانت واقعا ملموسا معاشا وسبقهم إليها بمئات السنين.

٣-كان النظام في عهد عمر قائماً على الشورى التي نترجمها الآن بمفاهيم الاشتراكية والديمقراطية الشعبية وعلى ذلك أدلة كثيرة قام عمر خطيبا في المسجد فقام رجل وقال له لا سمع ولا طاعة أنك أعطيت كل رجل من المسلمين ثوبا واخذت ثوبين فانك رجل طويل ضخيم فقال هذا ثوبي ونصف ثوب أخيكم عبد الله بن عمر ابني فأسأله فاجر عبد الله بذلك فقال له الرجل الآن قل فنسمع ونطيع وفي أكثر من مرة حمد الله أن المسلمين يراجعونه في القرارات ويحاسبونه ، ولم يكن غريبا أنه غير سياسة التجنيد بسبب شكوي زوجة لغياب زوجها أكثر من ثلاثة أشهر ومرة أخرى كان يخطب وخطأ في فهم أية وصحتها له احد المسلمين فقال أصابت امرأة وأخطأ عمر ومرة سمع امرأة تشكو من انه لم يخصص نفقة للرضيع كما خصص للفطيم ففطمت ابنها مبكرا فعدل اللوائح ووضع نفقة لكل مولود.

٤-عرف عمر حكما مركزيا قويا فكان مسئولا عن الولاة ويبحث بمفتشين عنهم ويعلم حالة الولايات ويحاسب الولاة والمسئولين بشدة على أي تقصير أو ظلم وكان من أسس الدواوين أو الوزارات والمؤسسات في تاريخ الإسلام ووضع لجنة علمية دائمة في المدينة تهتم بشؤون البلاد المفتوحة فتنقل إليه الكتب والمعارف الإنسانية والفلسفية والعلمية

لترجم ويستفيد منها المسلمين في حضارتهم الكبرى وحافظوا على التراث الحضاري الضخم لمن قبلهم مثلما حدث في مكتبة الإسكندرية وترجمة كتبها وعلومها والمحافظة على الآثار المصرية القديمة كما هي وتمكين المصريين من ممارسة شعائرهم بكامل الحرية والعهدية العمرية مع أهل بيت المقدس واسقاطه الجزية عن كبار السن والضعفاء من أهلها وكذلك فتح فارس والعراق فخاف أن يفتح المسلمون على حضارات الفرس ويتاثروا بها بشكل سلبي فأوقف الفتوحات إلا أن الفرس هاجموا المسلمين فأكمل الفتوحات حتى أتم الله له الفتح ومزق المسلمين تاج كسري رمز الظلم ولكنه استفاد من بعض النظم الإدارية والقوانين كجزء من حفاظ المسلمين على التراث العالمي الذي انتقل لنا ويكفي قوله عن نفسه أنه كان راعيا للغنم وابن امرأة فقيرة وذهب ليلافي عظماء الروم في القدس بثوبه المرقع وكان يركب ويترل ليركب خادمه ودخل بيت المقدس وهو يسوق الدابة لخادمه قائلاً إنا قوم أعزنا الله بالإسلام.

٣- عثمان بن عفان (النموذج الرأسمالي):

لم يظلم خليفة أو ملك في تاريخ المسلمين مثلما ظلم عثمان رضي الله عنه على كل المستويات أولها يوم قتله الخونة الخوارج ليلقي ربه شهيدا متحملا أمانة الأمة إلى آخر قطرة دم مضحيا بنفسه في سبيل عدم وقوع فتنة بين المسلمين رافضا أن يدافع عنه الصحابة ضد الخوارج ورؤوس الفتنة حتى لا يقتتلوا مفضلا أن يموت في سبيل الله ولا أن يفتن الناس بعده ، كذلك ظلم تاريخيا فهو الاقل شعبية بين الخلفاء وهناك ملوك لهم تحدث عنهم المؤرخون أكثر منه لم يفعلوا ربع ما فعل سواء كان خليفة أو أيام النبي كذلك الهجوم الشيعي عليه، وأيضا من الضالين من أهل السنة الذين اخذوا مذهب الخوارج والتكفيريين لا يترلونه مترله ولا يعطونه قدره الذي يستحقه مع قهم مثل الفساد وعدم مراعاة المال العام وتفضيل أقاربه وهذه القرابة مع بني أمية التي نال بسببها القسط الوافر من الهجوم في حياته، وبعد موته — رضي الله تعالى عنه — فهو بمصطلحات هذه الأيام جندي مجهول، لم يأخذه حظه اعلاميا . ولكن الله عز وجل لا يترك عباده المؤمنين، بل يشبههم ويأجرهم في الدنيا قبل الآخرة فقد نزل في عثمان قول الله عز وجل عن غزوة العسرة (لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة).وهو

الوحيد بين الصحابة الذين تزوج ابنتين من بنات النبي فسمي بذي النورين وقال النبي :
"لو عندي ثلاثة لزوجته" وفضائله كثيرة واشتهر بالكرم فكان من أجود الناس وبالعفة
والحياء الشديد فقال عنه النبي صلى الله عليه وسلم أنه رجل تستحي منه الملائكة.

كان عمر بن الخطاب آخر عهود المسلمين القصيرة المستقرة وبعده يبدأ الانقسام
والفتنة كالرؤيا التي رآها قبل موته بأربعة أيام ورأي فيها ديكا وفسرتها السيدة أسماء بنت
عميس بأنها موته وقتله أبو لؤلؤة الجوسي لعنه الله فقرر قبل موته ان يقدم للمسلمين
مرشحين يطمئن ويرتاح لقدرتهم على الخلافة والحكم بكتاب الله وسنة نبيه، وكان من
بينهم عثمان بن عفان لعدة أسباب أهمها أنه من المبشرين بالجنة ومن السابقين للإسلام قد
يكون رابع من اسلم وهو رضي الله عنه صاحب المهجرتين، إذ كان أول مهاجر للحبشة
مع زوجته بنت النبي السيدة رقية ونزل فيهم (والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا
لنبئتهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون)، وكان في بعثة الحبشة ابن
عم النبي جعفر بن ابي طالب الطيار رضي الله عنه وفيهم نزل أيضًا (قل يا عباد الذين امنوا
اتقوا ربكم للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة وارض الله واسعة إنما يوفي الصابرون
أجرهم بغير حساب). كما هاجر إلى المدينة المنورة مع المسلمين، ولحسبه ونسبه وقرابته
من النبي فامه ابنة عم النبي صلى الله عليه وآله ولكثرة بذله، وعطائه فهو احد كبار التجار
وكذلك كان احد مستشاري ابي بكر الصديق وكان من أهل الشورى لحسن رأيه
وسداده فأحبه الناس وكانوا يحبون مجالسته والتزود من علمه وكان كثير الصيام، ومكثرا
من قراءة القرآن فقد قال له الصديق عندما دعاه للإسلام (يا عثمان انك رجل حازم) أي
سديد الرأي راجح العقل. وقالت عنه أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها عند زواجه من
السيدة رقية (أحسن زوجين رأهما إنسان رقية وزوجها عثمان) فقد كان جميل الطلعة
والملامح. وذكر في الحديث أن النبي قال : (أبو عبد الله أشبه أصحابي بي خلقا). يوم بدر
مرضت زوجته السيدة رقية فامر النبي أن يبقى ليمرضها فلما عاد جيش المسلمون
منتصرين اعطاه النبي سهمه فاعتبر من أهل بدر قائلا (لك أجر رجل حضر بدر وسهمه).
رشحه عمر سفيرا للنبي لدي قريش لطلب العمرة فقال عمر للنبي : (أدلك يا رسول الله
على رجل اعز بمكة مني). فلقوة حجته وكياسته وفطنته ارادت قريش ان يطوف وحده

بالكعبة دون المسلمين فأبى عثمان، وأبلغ المستضعفين المسلمين في مكة ان النبي بعث رسالة تطمئنهم وان الله سينصرهم قريبا وانتشرت شائعة مقتله، فجهز النبي الصحابة ليبايعوه على القتال ثارا لعثمان فبايعوه على الموت، ووضع النبي يده بدلا من يد عثمان ودعا له. وعرفت ببيعة الرضوان وبيعة الشجرة وكانوا أكثر من ألف وربعمائة صحابيا ونزل فيهم (لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا).

اختار عمر ستة من خير الصحابة وأبرزهم عثمان بن عفان وعلي ابن ابي طالب وكتب عمر الوصية لمن بعده وأراد عمر بذلك تحقيق الشوري والعدل في الاختيار وكان وزيرا مع الإمام علي والعباس عم النبي لعمر، وتم اختياره بعد ما زهد الإمام علي في الملك وبايع عثمان رضي الله عنه. ولكن يبقى أبرز ما قدمه عثمان رضي الله عنه يوم العسرة وكان الحر شديد والمسير بعيد لغزوة تبوك إذ تبرع من أمواله بألف دينار وهذا مبلغ ضخيم جدا وقتها، فلما أتى بها فجهز ثلث الجيش ما يعادل ألف بعير للنبي قال: (ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم) لأنها أكبر نفقة أو تبرع في سبيل الله. وكذلك واقعة بئر رومة وكان في المدينة وصاحبها يهودي طلب من المسلمين أموالا من أجل أن يشربوا مائها والماء أغلى السلع في الصحراء واليهود لا يقبلون المساومة ومستغلين الفرص المادية فطلب فيها مبلغا ضخما جدا واشتراها عثمان — رضي الله عنه — وأوقفها لله وجعلها للمسلمين وحولها مزرعة كبيرة لازالت باقية حتى الآن بسم وقف عثمان فكان مكسب استراتيجي كبير للمسلمين وقال النبي عنها: (من حفر بئر رومة فله الجنة). وغيرها كثير من المواقف الجليلة ففي إحدى الغزوات اشترى ٢٤ راحلة وأرسل للنبي صلى الله عليه وسلم منها فاستبشر الصحابة.

بعد موت عمر حصر الأمر في من تبقي من العشرة المبشرة باستثناء سعيد بن زيد لانه ابن عمه رضي الله عنهما، وكانت فطنة عمر في محلها ان الناس سيختارون بين عثمان وعلي، لانهما من كتاب الوحي فلما اتوا بجسد عمر ليصلي عليه هم عثمان وعلي أن يصليا عليه فردهما عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قائلا: "عمر أوصى لصهيب الرومي" وبعدهما اجتمع الستة فضل الزبير عليا وفضل سعد عبد الرحمن وفضل طلحة

عثمانا فخلع عبد الرحمن نفسه ليعي عثمان أو على رضي الله عن الجميع. ورجحت كفة عثمان لسببين اولهما رفقه ولينه فكان مثل ابي بكر ففضل الناس عثمان على عمر لشدة يوم البيعة في مسجد النبي وعلي منبره ارتدي عبد الرحمن عمامة اهداها له النبي وبعد الصلاة ودعاء طويل وقبلها مشاورات كثيرة مع المهاجرين والأنصار والقبائل وأمراء الجنود والولاة طلب يد كل من الرجلين قائلًا من يبايعني على كتاب الله وسنة رسوله وعلي نهج الخليفين فرب الإمام على الموقف لتقواه وورعه قائلًا (اللهم لا ولكن على طريقي من ذلك وجهدي) فشأت إرادة الله ان يقول عثمان اللهم نعم فقال عبد الرحمن اللهم اسمع واشهد أني نقلت ما في رقبتي إلى رقة عثمان وذكرت بعض المصادر أن الإمام على أول مبايع للخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه وبايعه الناس ودعوا له.

إنجازاته وسياسته :

١-وسع على الناس توسعة كبيرة، وأتاح لهم حريات حجتها عمر مخافة أن يتأثر المسلمين بالأمم المفتوحة فلما رسخ الإيمان والعقيدة ترك لهم حرية التملك والتنقل فكان من أكثر العهود رخاء ومغانم.

٢- رأى عثمان بعقلية التاجر والمستثمر أنه يجب أن تقف حضارة المسلمين موقفًا راسخًا أمام الأمم المفتوحة بخاصة الروم وان ذلك لا يحدث إلا بالإيجار والإدهاش أي الفخامة في المعمار والجيش وغيرها من لنواحي لاجتذابهم للإسلام واستمالة قلوبهم من جهة فهو دين رخاء ومن جهة أخرى كي لا يفتتن المسلمون وبخاصة الجدد بالفارق الحضاري بين حضارة الإسلام الناشئة وبلاد الروم القائمة على البذخ فانفق أموالًا طائلة خاصة في الشام على هذا الأمر على يد معاوية بن أبي سفيان وعبد الله بن سعد بن أبي السرح في مصر وأفريقيا وكانا رجلين لهما هبة ورجلا دولة بالذات معاوية فقد نشأ وتربي على الملك، وفهم عقلية أهل هذه البلاد فعملوا للمسلمين ألف حساب.

٣- جمع المصحف الشريف، فكان ثوابا لعثمان حتى يوم القيامة بكل قارئ للمصحف الذي جمعه وأرسله للبلاد كلها منه نسخا ليعلم المسلمين كتاب الله ويوحد القراءات مع اتساع رقعة الدولة وانتشار الدين وحفظ اللغة العربية وعلمها المسلمين في كل هذه البلاد

مما أنقذ المسلمين بفضل الله، فلا يضيع كتابهم ويختلفوا مثل الأمم السابقة. وكان ممن شارك في هذا الجمع الصحابة والمهاجرون والأنصار وعلى رأسهم الإمام على إلى أن انتهوا إلى توحيد المصحف مما عرف بمصحف عثمان.

٤- توسعة المسجد النبوي وكان أول من وسع مسجد رسول الله في المدينة المنورة .
٥- اتساع رقعة الفتوحات في عهده ففتح أرمينيا وخراسان ومناطق بجوارهما مثل أذربيجان وقبرص، وكانت أول جزيرة يفتحها المسلمون مما زلزل موازين القوى في العالم فصار للمسلمين أسطولا وخاض معركة تدع ذات الصواري وهم الذين عاشوا حياتهم يتنقلون في الصحراء فأراد الله لهم أن يخوضوا البحر وينتصروا أيضاً على الروم وزاد عدد الجيش بكثرة وأكمل فتح بلاد فارس.

٦- فتح أفريقية وكانت الطريق لفتح أوربا وهاجم الروم الاسكندرية، وحاولوا احتلال مصر بعد فتحها فارسل الشعب المصري لعثمان مطالبين بعودة أميرهم المحبوب عمر بن العاص رضي الله عنه لصد هجمات الروم فهزمهم بإذن الله شر هزيمة بعدما عملوا النهب والسلب في مصر خاصة الاسكندرية وبني عمرو مسجداً مكان مقت قائد الروم سمي مسجد الرحمة وفتح عبد الله بن سعد بن أبي السرح بلاد النوبة لكن دون قتال شريطة ان يبقى حكامها عليها امانا للمسلمين وتفتح للتجارة والمرور وأسلم منهم عدد كبير . وكان لابد لحماية مصر من فتح تونس والمغرب العربي، لأنها سواحل وانها تابعة للروم ففتحت تونس في عهده بقيادة عبد الله بن سعد والي مصر وبقيادة عقبة بن نافع وعبد الله بن الزبير الذي قتل جرجير يوس حاكم أفريقية (تونس) الروماني.

مقتل عثمان فصل أخير في رحلة حافلة بالتضحيات من أجل الله والرسول والمسلمين فقد كاد عبد الله بن سبا اليهودي المنافق المظهر للإسلام المدير لأحداث الفتنة التي استشهد فيها عثمان فقد نشر الاكاذيب والشائعات عن عثمان وحاصر داره مع مجموعة من الخوارج الغوغائيين الحاقدين على الإسلام ومن معهم من ضعفاء النفوس الجهلة اجتمعوا ببيته وحاصروا داره وارسل له الصحابة أن ينقذوه ويدافعوا عنه فرفض حتى لا يراق دم بسببه وكان صائماً فجاءه النبي في المنام مبشراً بالجنة فقتله الخوارج لتسليل دماؤه

على مصحفه الشريف الذي عاش له حاميا وحارسا ولم يراق دم في عهده ولكنه سيحدث بعد ذلك، وكان النبي قد بشر باستشهاده لابن عمر وأن الناس يقتلونه وهم له ظالمون. وذكر النبي لعثمان ان الله مقمصه قميص فلا يخلعه إذا أراد الناس، فأنهم قاتليه وانه مظلوم وانه افتداهم بنفسه.

٤- علي بن أبي طالب (النموذج الثوري)

لم يجمع لأحد من الناس بعد رسول الله من فضائل أكثر من علي بن أبي طالب فهو الرجل الأكثر شعبية بين المسلمين فاتفق على حبه الجميع بل وكتب عنه غير المسلمين أيضاً متحدثين عن حكمة لم يعرفها العقل الإنساني قبله ولا بعده فهو من آل بيت النبي المطهرين، وابن عم النبي وصهره من كتاب وحيه فالإمام علي هو فادي الأمة نام مكان الرسول في فراشه يوم الهجرة ثم فداها مرة أخرى يوم استلم الخلافة في عصر الفتنة فحافظ على الإسلام كدين أولاً قبل الخلافة. ثم فدا أبنائه وأحفاده الإسلام من بعد ذلك يوم تنازل الحسن المجتبي لمعاوية ويوم كربلاء وفي جهادهم لنشر كلمة الله وفي طلب العلم حيث علموا المسلمين في جميع أنحاء الأرض كتاب الله وسنة نبيه وفضائل الإمام علي كثيرة جدا وكذلك سياسته وكذلك جهاده وحربه وبلاغته وخطابته وفصاحته. ومن فضائله :

١- فتح الله على يديه يوم خيبر فوصفه النبي بأنه رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ورفع باب الحصن، ولم يقدر على تحريكه ثمان رجال وقتل بطل أبطاهم عمرو بن ود وسمي لذلك الإمام علي بجيدرة أو حيدر أي الأسد فهو فارس العرب وأشجعهم.

٢- وجبت ولايته ومحبته فقال النبي عنه : لا يحبه إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق لقوله تعالى عنه (إنما وليكم الله ورسوله والذين امنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون) فكان هذا الحزب المؤمن هو (حزب الله إلا أن حزب الله هم الغالبون) وهي دليل الولاية الدينية وهذا لا يعني أنه نص بالخلافة للإمام علي.

٣- الصلاة لا تقبل إلا بولاية أهل البيت لما ورد في التشهد اللهم صل على محمد وعلي آل محمد. وقول النبي أنا مدينة العلم وعلي بابها ولا تؤتي المدينة إلا من بابها أحاديث

وآيات تفضيل آيات البيت كثيرة جدا فوصية النبي (الله الله في أهل بيتي) وسورة الإنسان جاءت بهذا التكريم (يطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا) (إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا)، ووصي بهم وجعل الله فضل محبيهم وتابعيهم كبير (فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا)، وورد في الأثر أن كل سبب ونسب يوم القيامة مقطوع إلا شفاعة أهل البيت وورد أيضاً أن رجلاً جاء للنبي فقال له: "ليس لي من أعمال كبيرة من الصلاة والصيام والزكاة ولكني أحب الله ورسوله والبيته" فقال النبي: "أنت مع من أحببت" وفهم الصحابة ذلك وحافظوا على قربي رسول الله ومودة ومحبة آل بيته.

المنهج السياسي :

١- كان مستشارا ووزيرا وقاضيا للخلفاء الراشدين الثلاثة الأوائل وكان دائما مرشحا للخلافة . كان له دور رائد بعد فتح العراق فأشار على عمر بعدم تقسيم الأراضي بين المجاهدين وأن تترك للمسلمين وان يأخذ خراجها وإلا كانت ستكون أكبر حالة إقطاع في التاريخ وكان ممن أشاروا بجمع المصحف.

٢- استلم الإمام علي الخلافة بعد حالة الانتفاضة والثورة والفوضى انتهت باستشهاد عثمان في الظروف الأصعب في تاريخ الإسلام وكان زهد فيها من قبل إلا أن واجب الوقت حتم عليه ان يتقدم، ولم يكن هناك اقدر منه على ذلك.

٣- يعتبر منهج الإمام علي مدرسة سياسية متكاملة فريدة مميزة، حتى عن الثلاثة الذين سبقوه فقد اعتمد منهجا ثوريا للحكم يعتمد على التغيير الجذري الشامل، ووضع آليات للإصلاح لم يعهدها العرب ولا الأمم الأخرى، ولو وعي العرب بعد ثورات الربيع العربي منهج الإمام في التغيير لكان حالنا أفضل بكثير.

٤- الاهتمام بالمصلحة العليا للدولة وأمنها الديني والقومي دون النظر لاعتبارات فتوية أو طائفية فرأى استقرار الأمور، وتخريب مؤامرات ومخططات هدم الدولة أولى، وأهم قبل المطالبة بثأر عثمان — رضي الله عنه — ومحاسبة القتلة وعمل دائما كرم الله وجهه على وحدة صف المسلمين فقد عمل على إصلاح ما بينه وبين معارضيه كالسيدة عائشة وطلحة والزبير ومعاوية رضي الله عنهم جميعا وصالحهم وأكرمهم وصلي على قتلاهم رضي الله عن الجميع.

٥- معادلة الحكم عند الإمام كانت واضحة : لكي يغير لابد من استبدال جميع مؤسسات الحكم السابقة المتمثلة في الولاة ورجال الدولة وقادة الجيوش واستبدالهم بمؤسسات جديدة تماما يكون ولائها للخليفة الجديد لأن الاستعانة بالحرس القديم حتى تقوي الدولة ثم استبدالهم هو محض هراء لأن الحاكم إذا قويت شوكتة بهم صاروا جزءا من نظامه وصار مثلهم لا يفرق بينهم شيئا فوضوح المنهج الثوري في التغيير وعدم الاعتماد على المؤسسات الموجودة.

٦- لكي يضطلع بهذه المهمة في التغيير وإقامة دولة بمنهج جديد وفكر جديد. كان لابد من تربية جيل كامل يؤمن بهذه الدولة ودورها ورسالتها للعالمية فهي تحمل الدين الحق بدأ الإمام على في تربية جيل كامل يقوم بهذا الدور يعي مسئولية التحول في دولة الإسلام فقد كان يشعر الإمام وهو مما وفقه فيه الله مع كثرة الفتن وموت كثير من الصحابة. أنه لابد من تثبيت أركان القيادة الربانية وأسسها في نفوس المسلمين وجيل التابعين فهم من قاد الأمة بعد ذلك.

٧- نقل العاصمة إلى العراق بعيدا في الأرض الجديدة المفتوحة التي لم تلاطمها وتتداخل فيها بعد تيارات العصبية، والقبلية والحزبية كالحجاز والشام فالعراق حضارة ومدنية كبيرة بطبعه فرأي ان ذلك يضيف للإسلام مما يمهد لفتح بلاد أخرى فيم بعد ودمج المسلمين الجدد وغير العرب في الحكم وترغيبهم في الإسلام وتجنيب الأراضي المقدسة في مكة والمدينة الصراع السياسي حتى لا يطالها أذى أو سوء وهو خطأ وقع فيه بنو أمية بعد ذلك.

الحسن السبط والصالح بين المؤمنين

بعد مقتل الإمام على تولى الخلافة ابنه الحسن السبط المجتبي ويعتبرا الحسن بن علي بن ابي طالب عليه السلام آخر الخلفاء الراشدين وآخر سلسلة الحكم الرباني المستوفي لكامل شروط الحكم من عدالة وشورى. فترة خلافته لم تدم طويلا كانت عام واحد ثم تنازل عنها لمعاوية رضي الله عنه ضاربا المثل في التضحية والفداء ومستكملا حلقات العطاء والفضائل التي قدمها آل البيت للإسلام. كان التنازل عن الخلافة أمر غير معهود عند العرب وحتى بعد ذلك لم يحدث أن تنازل خليفة لآخر عن ملكه وهو قوي ممكن قد تمت له البيعة، وهو يحظى بتأييد الغالبية الساحقة من المسلمين، وحتى مؤيدي معاوية رضي الله عنه غالبيتهم يحبون الحسن عليه السلام، ولكنه تفضيل الآخرة على الدنيا وحب ما عند الله عن الخلافة وإيثار مصلحة المسلمين على المصلحة الخاصة فطوي لمن فضل ملك السماء عن ملك الأرض، فكان سيد شباب أهل الجنة. تولى الحسن عليه السلام الخلافة طبقا لاتفاق عقد بين ابيه الإمام على ومعاوية — رضي الله عنه — وبويع الحسن على ذلك وتولى الخلافة بعد استشهاد الإمام على. اختار النبي صلى الله عليه وسلم الحسن لحفيده الأكبر من ابنته السيدة الزهراء سلام الله عليها بعد ان اراد أبيه تسميته حربا، فلم يحب النبي اسم حرب. احب المسلمون جميعا الحسن وفي مقدمتهم الصحابة فقد روي أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه لقيه فاحتضنه قائلا هو أشبه بالنبي وليس بعلي وعلي جالس يضحك وكان أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله. وقال النبي عنه (انه لم يكن قبلي نبي إلا قد أعطي سبعة رفقاء نجباء وزراء واني قد أعطيت أربعة عشر: حمزة وجعفر وعلي وحسن وحسين وأبو بكر وعمر والمقداد وعبد الله بن مسعود وأبو ذر وحذيفة وسلمان وعمار وبلال). وقال عنه النبي إنه يحبه فدعا الله (اللهم أحب من يحبه).

وله دلائل محبة كبيرة للنبي. فقد كان يقبله ويجلسه على حجره ويحمله على ظهره وياخذه معه للمسجد. وله في الجود والكرم والحلم والعلم قصص كثيرة جدا فقد كان كثير الصدقة مسارعا للخير محبا للفقراء. وعرفت عنه الحكمة فله أمثال ووصايا ومواعظ كثيرة اسماء النبي الريحانة وهو سبط رسول الله، وكان قد كان يقسم ماله ويتصدق به كله. كما عرف عنه الجهاد فقد شارك في فتح شمال أفريقية وطبرستان في عهد عثمان

رضي الله عنه وقاتل مع أبيه في الجمل وصفين وحارب معه ضد الخوارج حتى بويع بالخلافة على كتاب الله وسنة ورسوله وكان أول من بايع قيس بن سعد بن عبادة. إلى أن حدث أكبر مآثره وأهم مكارمه وهو عام الجماعة وكان هو آخر الخلفاء الراشدين لقول النبي الخلافة بعدي ثلاثون بدأت عام ١١ هجرية بالصديق وانتهت ٤١ بالحسن المجتبي، وقال النبي عنه (إن ابني هذا سيدا ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين) وجاء في الصلح بين الإمام الحسن عليه السلام ومعاوية رضي الله عنه أن يحكم معاوية بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخلفاء الصالحين (الراشدين المهديين حسب رواية أخرى)، وليس لمعاوية أن يعهد لاحد من بعده عهدا بل يكون الأمر من بعده شورى بين المسلمين وعلي، أن الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله تعالى في شامهم وعراقهم وحجازهم ويمنهم وعلي أن اصحاب على (وشيعته في رواية أخرى) آمنون على انفسهم واموالهم ونسائهم واولادهم حيث كانوا وعلي معاوية بذلك عهد الله وميثاقه وان لا يتغىي للحسن بن على ولا لأخيه الحسين ولا لأحد من بيت رسول الله صلى الله عليه وآله واله سرا وجهرا ولا يخيف احد منهم في افق في الآفاق. وقد بايع الحسن عليه السلام معاوية رضي الله عنه وخطب في الناس وذكرهم بالله وبجده المصطفى صلى الله عليه وآله وإن الله هداهم به من الضلالة ورفعهم من الذلة وصاروا في صدارة الأمم وان معاوية نازعه حقه في الخلافة فنظر لصلاح الأمة وقطع الفتنة وذكرهم ببيعتهم له ان يسالموا من يسالم ويحاربوا من يحارب فإنه رأي ان يصلح معاوية وعنه عليه السلام انه قال لا أدب لمن لا عقل له ولا مروءة لمن لا همة له ولا حياء لمن لا دين له. ومن الشروط أيضاً الحكم بالشورى وان يؤخذ رأي الحسن في النوازل وألا يشتم عليا فلا يذكر إلا بخير ولا يساء اليه أو للحسن وان يعطي معاوية الحسن المجتبي خراج دار يجرد بفارس وما في بيت مال الكوفة.

ومما وصل لنا عنه من قول مأثور ودعاء لازال المسلمين يدعون به (اللهم اهديني فيمن هديت وعافني فيمن عافيت وتولني فيمن توليت وبارك لي فيما أعطيت وقني شر ما قضيت فانك تقضي ولا يقضي عليك وانه لا يذل من واليت تباركت ربنا وتعالى) (وروي عن النبي (دع ما يريبك إلى ما لا يريبك فان الصدق طمأنينة والكذب ريبة) وأوصى بنيه وأهله (تعلموا فإنكم صغار قوم اليوم وتكونوا كبارهم غدا فمن لم يحفظ

منكم فليكتب). ومن أمثلة كرمه وجوده انه تصدق في مرة بمائة ألف دينار. وعند موته دفن في البقيع إلى جوار امه الزهراء وكان له مقاما حتى وقت قريب إلى أن تم هدمه بدعوي التوسعات ومكان القبر معلوم يقصده الناس. وكان اتفق مع السيدة عائشة ان يدفن في الحجرة النبوية مع النبي وابو بكر وعمر اما لو رفض بنو أمية ذلك فأوصي الحسين بدفنه في البقيع، وأوصي بعدم الرد على الاساءة وتجنب الفتنة وحدث الإمام الحسين السيدة عائشة في الأمر فقالت نعم وكرامة فرفض مروان بن الحكم عليه من الله ما يستحق وكاد الإمام الحسين أن يحمل السلاح فتذكر وصية أخيه فلم يرد على تطاول مروان وجماعته. وذكرت بعض الروايات أنه مات مسموما واتهم البعض زوجته أو معاوية بقتله ولم يعرف بالتحديد الفاعل الحقيقي.

يوم أن استشهد عثمان رضي الله عنه، وكان الحسن والحسين يحرسان الباب ويصدون عنه إلى إن استشهد أبيهما في الخراب على يد الملعون ابن ملجم وكان اشقي الناس في الآخرين بعد اشقي الناس في الأولين الذي عقر ناقة صالح ثم مقتل الحسن عليه السلام وتتوالي مصائب المسلمين حتى فجعت الأمة بل العالم على مقتل الإمام الحسين في كربلاء على يد النواصي في عهد يزيد الفاجر الذي أساء لأبيه ولكل بني أمية وللخلافه وللإسلام وللمسلمين. فدا الإمام الحسين المسلمين بدمائه ودماء آل بيته غير مبال بحياته التي بذلها ليعلم المسلمين قيمة الثورة السلمية وقيمة العطاء بلا حدود وعدم انتظار الأجر إلا من الله ومن حديث النبي عن الحسن والحسين (من أحبهما فقد أحبني ومن ابغضهما فقد ابغضني)(الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة). علمنا الحسين درسا وكم كان درسا قاسيا أن لا اله إلا الله غالية وان رفع رايتها دونه الرقاب والأهل والأولاد والأموال وألا نرضي بال جور ولا بالظلم وألا نرضي الدنية في ديننا وان التصدي لأهل البدعة من واجبات الدين وألا نتخلي عن أسس الحكم الرباني وعن سنة النبي وخلفائه الراشدين وان القيادة التي تبتعد عن التكليف الالهية وعن المنهج الصحيح في الحكم القائم على مبادئ الشريعة لا يتحقق إلا باتباع كتاب الله وسنة نبيه تعلمنا من دماء الحسين اسمي معاني البذل والعطاء ولو قدر الله اكتمال الانتفاضة الحسينية المباركة ما فعل بنو أمية الفضائع في بلاد المسلمين واستحلوا محارمه مثل الجرم السفاح الحجاج بن يوسف الثقفي وكانوا ساروا في منهج قومهم. فما أراد الإمام الحسين الملك وإنما أراد الدين ما أراد الدنيا وإنما أراد

الآخرة اراد ما عند الله وهو خير وابقى. مراثي الحسين لمظلوميته في كربلاء ومقتله بهذه الطريقة تدمي القلب ومقتله في يوم عاشوراء ذي الفضل الكبير وللإمام الحسين أضرحة ومقامات كثيرة اشهرها الروضة الحسينية المباركة في كربلاء المقدسة ومسجده الشهير في مصر الذي يحتوي على راس الإمام الحسين التي قطعت في المعركة وقد اتي بها الصالح طلائع رحمه الله إلى مصر حفاظا عليها من همجية الصليبيين وهجماتهم فهم لا يعرفون حرمة لدين، أو لمقدسات وبقيت في مصر في المسجد الشهير الذي يهيم به المصريون حبا ويفتخرون به ويحمدون الله على نعمته عليهم. وفي كربلاء قتل الحسين ومعه اهله جميعا إلا على زين العابدين السجاد رضي الله عنه وكان صغيرا فاعمي الله الطغاة، وصرفهم عنه فهو جد كل الحسينيين على الأرض الآن وكانت أمه أميرة فارسية من سبايا فتح فارس فأهداها عمر رضي الله عنه للإمام الحسين اما ذريته كان لها دور كبير في نشر كلمة الله ونور الإسلام فهم طلائع المجاهدين، أو كبار المفسرين والعلماء وهم أهل الله العارفين به من النساك الزهاد فراي الناس فيهم نور الله وعلامات النبوة ومنهم غالبية أهل العلم والإفتاء والدين حتى وقتنا هذا في أغلب بلاد المسلمين. حفظ الإمام الحسين العهد مع معاوية رضي الله عنه فسمع واطاع إلا أنه بعد استلام يزيد بن معاوية الفاجر للخلافة غصبا ونقضا للعهد وبالتوريث وبغير بيعة شرعية ولا شعوري فلا سمع له ولا طاعة فخرج الإمام الحسين مطالبا بتحكيم كتاب الله والحكم بسنة جده رسول الله. أرسل له أهل الكوفة مبايعين مناصرين أكثر من مرة إلا أنه لما أتاهم تخاذلوا عنه وتركوه لسيوف الفجار يمزقون جسده ورماحهم وسهامهم تقطع لحمه وقلبه وكبد له لعنة الله عليهم ويسبون أهل البيت فدعا عليهم (اللهم لا ترض عنهم الولاية أبدا) وهو ما حدث طوال تاريخ العراق حتى الآن وقد قاد المعركة ضده عمر بن سعد وعبيد الله بن زياد وشمر بن ذي الجوشن وفاوضهم على ثلاث أمور اما ان يلقي يزيد في الشام أو يتركوه يذهب لاي بلد من المسلمين مجاهدا يقاتل أعداء الله أو يعود إلى مكة مع اهله قائلًا اتقوا الله انه ليس على الأرض ابن بنت نبي غيري، ولكن صدق عليهم ابليس ظنه فابوا وبعدها قتلوه ذهبوا باهله إلى الشام عند الفاجر يزيد إلا أنه لم يأمرهم بقتله ولكنه لم يحزن ولم يقتص للإمام الحسين منهم فقط لامهم وقال : كنت أتمني أن يسيطروا على العراق دون قتل الحسين. وبعض المفسرين قالوا ان الحسين لم يستجب لنصح الصحابة بعدم الخروج مما

يوحي بأنه أخطأ في المسير لحرب يزيد وهو خطأ فادح وقع فيه علماؤنا لأن النبي أخبر الإمام الحسين بمصيره وبمقتله وكان يعلم ما ينتظره فقد كان النبي يبكي ذات يوم حتى دخل عليه الحسين فقال: (إن جبريل كان معنا في البيت قال أفتجبه؟ قلت: أما في الدنيا فنعم قال إن أمتك ستقتل هذا بأرض يقال لها كربلاء) ومعناها أرض كرب وبلاء. وفي الروايات بعد مقتله ان السماء ظلت اياما مثل العلقة وروت ام سلمة انها رات النبي في المنام وعلي راسه ولحيته تراب لمقتل الحسين وان الجن كانت تنوح وتبكي لموته. وراي ابن عباس النبي في المنام معه قارورة فيها دم. وروايات كثيرة منها انه ما رفع حجرا في الشام يومئذ الا وتحته دم و ان الشمس انكسفت كسفة فبدت الكواكب في نصف النهار وكان الصحابة يحبونه في حياته أيضاً فقال عمر (فإنما انبت ما تري في رؤوسنا الله ثم اتم) وقال عثمان: (فطموا العلم فطموا وحازوا الخير والحكمة) وابن عمر كره أهل العراق بسبب تخاذلهم وتقاعسهم عن الحسين وقال: (ان هذا يسألني عن دم البعوض وقد قتلوا ابن النبي). وقالت عمرة بنت عبد الرحمن انها سمعت ام المؤمنين عائشة تقول (يقتل حسين بأرض بابل). وقال معاوية إن له رحما ماسة وحقا عظيما وقرابة من النبي. والإمام على كان يعلم بمقتل ابنه ولما مر بكربلاء قال: (صبرا أبا عبد الله). وروي عن الإمام الحسين (أعلم أي مقتول مذبح ظلما وعدوانا)، وقبل ذهابه للعراق (إن لم أذهب غدا سأذهب بعد غد وما من الموت بد). ولذلك ورد في الأثر ان لموت الحسين مرارة كبيرة في قلوب المؤمنين. فكان خير مجاهد واثار ومضح ومعطاء فالسلام عليك يا أبا عبد الله وعلي الأرواح التي حلت بفنائك.

عبد الله بن الزبير بن العوام

لما هاجر النبي إلى المدينة كره اليهود ذلك لأنه لم ينبج المسلمون اطفالا منذ الهجرة فكان أول طفل للمسلمين في المدينة المنورة عبد الله بن الزبير — رضي الله عنه — وفرح به النبي بشدة وكبر المسلمون جميعا وباركوه ودعا له وسماه عبد الله على اسم جده لأنه عبد الله بن أبي قحافة (أبي بكر الصديق)، وأمه هي السيدة أسماء بنت أبي بكر ذات النطاقين التي كانت في الهجرة مع أبيها والنبي وكانت تأتيهما بالطعام وخالته هي أم المؤمنين عائشة وكانوا ينادون عائشة بأم عبد الله أما أبوه فهو الزبير بن العوام احد العشرة المبشرين بالجنة ومن السابقين إلى الإسلام وكان فارسا مغوارا وشارك في الفتوحات بعد النبي وهو قائد الحملة التي فتحت حصن بابلين الروماني في مصر مدخلا لفتح العربي لمصر. وكان شديد الشبه لجده الصديق رضي الله عنه وقال عنه علي بن زيد (كان كثير الصلاة كثير الصيام شديد البأس كريم الجذات والأمهات والخلالات). وكان مع الحسن والحسين في حماية دار عثمان حتى استشهد في الفتنة على أيدي الغوغاءيين وجاهد في فتح أفريقية مع عبد الله بن سعد بن أبي السرح والي مصر في عهد عثمان وكان ضمن جيش العبدلة وقتل جرجير يوس والي الروم في معركة سبيلطة في تونس وقاتل في معركة اليرموك مع أبيه رضي الله عنه وعرف عنه التقوي وكثرة العبادة والصلاة وقيام الليل فليلة هو قائم حتى الصباح وليلة هو راعع حتى الصباح وليلة هو ساجد حتى الصباح. وقالوا عنه انه من أحسن الناس صلاة وانه اذا صلى كان مثل العمود من الخشوع.

شارك مع المسلمين في أحداث الفتنة الكبرى بموقعة الجمل مع ابيه وكان مع خالته السيدة عائشة وكان لا يمسك بخطام الجمل احد الا قتل حتى جاء فقالت السيدة عائشة من أنت قال أنا عبد الله بن الزبير فحزنت وخافت ان يقتل فلما رآه مالك الأشتر (احد قادة جيش الإمام علي) أقبل عليه فاحتضنه ليحميه. ونجا يومها من القتل فقد عرفه جندب بن زهير الازدي وكان من الفرسان الأشداء قال له جندب لولا خالتك — يقصد عائشة — لقتلتك. حتى تولى معاوية رضي الله عنه الحكم فلما قرب اجله قال لبيته: "أحذركم من أربع رجال من قريش منهم عبد الله بن الزبير فهو كالأسد المرباض والثعلب المراوغ". وبعد موت معاوية حدث الخلاف بين المسلمين حول أحقية يزيد بالحكم وقد

طالبه يزيد بالبيعة، إلا أنه لم يستجب ولاذ بالبيت الحرام فمكث فيه لا يفارق مكة حتى خرج الإمام الحسين إلى العراق، واستشهد في كربلاء فعزل يزيد واليه على المدينة الوليد بن عتبة وعين عمرو بن سعيد بن العاص وارسل له مبعوثين يطالبونه ان ياتيه ويبيعه في الشام وان يزيد اقسم على ذلك وأنهم سيعطونه أموالا كثيرة فكتب عبد الله إلى مروان بن الحكم انه قد عرفت عنايتك ورأيك فما هذا فاني لا افعله ابدا فليكفر يزيد عن يمينه أو يدع فاستعاذ بالبيت الحرام ودعا الله ان يحفظه واهله. واختار يزيد مع واليه على المدينة عمرو بن سعيد اكثر اعداء عبد الله رئيسا للشرطة في المدينة وهو اخوه الحاقد الغيور عمرو بن الزبير فأشاع ظلما وبطشا وقهرا وخوف الناس وضرهم بالسياط من قریش والأنصار لأنهم مناصري عبد الله بن الزبير وقد فر عدد منهم من المدينة فأرسل يزيد الفاجر عمرو بن الزبير لقتال اخيه في ألف رجل من الشام لقتال عبد الله وقال له جبير بن شيبه أتسير إلى حرم الله وأمنه فتدنسه ولأخيك في سنه وفضله فتقاتله ان هذا اثم كبير ومعة وقال له : أن الناس لن يدعوك تفعل هذا فرد عمرو اما يبيع أو اقتله واقتل من يمنعني منه فهاجم عبد الله بن صفوان (احد الموالين لابن الزبير) أنيس بن عمرو الاسلمي (من قواد يزيد) فقتلوه وارسل ابن الزبير مصعب بن عبد الرحمن بن عوف فهزمهم شر هزيمة ثم جاء عبدة بن الزبير بعمرو بن الزبير أسيرا إلى أخيه عبد الله وشفع فيه فلم يقتلوه ولكنه جلد تطبيقا لحدود الله وعقوبة له وسجنوه مع بعض معاونيه وقواده الظالمين. ونحي عبد الله بن الزبير الحارث بن خالد القرشي والي يزيد على مكة وعين مصعب بن عبد الرحمن بن عوف مكانه فكان يصلي بالناس وقام بتشكيل مجلس قيادة أو مجلس رئاسي تحقيقا للشوري فلا يقطع امرا إلا بدوئهم ولا يستبد برأي أبدا وكان معه المسور بن مخرمة ومصعب بن عبد الرحمن وجبير بن شيبه وعبد الله بن صفوان بن أمية. وهي تجربة لم تتكرر في تاريخ المسلمين ان تكون الكلمة لمجلس وليس لخليفة واحد وإنما هي استعادة للحكم الرباني القائم على الشوري ولاختيار المسلمين وليس القهر والتوريث رافعا شعار "لا حكم الا لله" وقد توافد عليه مناصرون ومؤيدون من انحاء كثيرة. وظل يحج بالناس عشر سنين. ولما علم يزيد بذلك أرسل جيشا كبيرا لمحاربة ابن الزبير بقيادة مسلم بن عقبة المري ومن بعده الحصين بن نمير فلما كلمه عبد الله بن جعفر (كان معارضا ليزيد) في أهل المدينة وحرمتها رفض وقاتلهم ونهب المدينة وافسد فيها وتقدم لابن الزبير في مكة

فحاصرها أربعا وستين يوما قاتل فيها ابن الزبير ومن معه قتال الأبطال، وثبتوا كالجبال الرواسي حتى ضرب جيش يزيد مكة بالمنجنيق والكعبة على ابن الزبير وأنصاره فيها حتى مات يزيد واستجاب الله لدعاء المؤمنين واهلك الطاغية فوقع الصلح بن الحصين بن نمير وابن الزبير وطاف جيش الشام بالكعبة، وانصرفوا فتولي عبد الله بن الزبير الخلافة على الحجاز ومصر واليمن وأجزاء من العراق ومناطق في الشام وكان خصمه مروان بن الحكم الأموي وانتصر الضحاك بن قيس (قائد ابن الزبير) في مرج راهط على مروان بن الحكم وعلي اتباعه في أكثر من معركة وحدثت معركة بينهم في المدينة انتصر فيها ابن الزبير عليهم نصرا كبيرا وقد بني الكعبة من جديد كما كانت على عهد إبراهيم وظل في صراع معهم حتى ذبحه السفاح الحجاج الثقفي وصلبه بعد أن هدم الكعبة في أيام عبد الملك بن مروان بالمنجنيق وثبت وصمد للحق رضي الله عنه.

شخصيات بارزة في تاريخ الخلافة

هناك شخصيات بارزة أثرت في التاريخ الإسلامي ومنها شخصيات أثرت في تغيير العالم بأكمله فزلزلوا امبراطوريات وحطموا عروش، وأقاموا دولاً وأفنوا أخرى وقدموا أروع أمثلة في التضحية والفداء ومنهم من جيل الصحابة قادة أفذاذ مثل **خالد بن الوليد** القائد الذي لم يهزم في معركة قط ولقبه النبي بسيف الله المسلول قائلاً (إن خالد سيف من سيوف الله سله على الكافرين) وخالد بن الوليد ابن لأحد سادة قريش وأثرائها وهو الوليد بن المغيرة ونشأ رضي الله عنه فارساً شجاعاً مقداماً انتصر على المسلمين، وهو قائد لصفوف المشركين في غزوة أحد بحيلته وذكائه وبعد إسلامه عمل قائداً للجيش في عهد أبو بكر الصديق وعمر وكانت ابرز فتوحاته في الشام وعزله عمر حتى لا يفتن الناس بانتصاراته، فعاد جندياً في صفوف المجاهدين ثم في عهد عثمان تولى القيادة من جديد وفي كل حالته وأدواره ضرب مثلاً رائعاً للجنودية والعسكرية والطاعة والالتزام بتنفيذ أوامر القيادة وتنفيذ الأوامر والحزم والنظام الشديد مما كان يحقق نتائج مبهر لجيوش المسلمين بفضل الله عز وجل. ولخالد قصة مؤثرة عند موته فكان يبكي قائلاً ليس في جسدي شبر إلا فيه ضربة بسيف، أو رمية بسهم أو طعنة برمح وأموت على سريري فلا نامت أعين الجبناء ولكنه بشر بأجر الشهيد لجهاده وتمنيه الشهادة ولكنه لم يكن عالماً بأمر الدين فلم يحفظ من القرآن إلا قليلاً فكل حياته للسيف والفرس شارك في حروب الردة وفتح الشام والعراق وبرز معاركه مؤتة وسرية هدم صنم العزي، وله موقف مشهور مع بني جذيمة فقد غزاهم بدون تحقق الضوابط الشرعية لمبادأة الهجوم وقتل منهم عدداً فدعا النبي (اللهم إني أبرأ إليك مما فعل خالد)، وأرسل النبي الإمام على لدفع دية القتلي وشارك في غزوة تبوك وفي دومة الجندل أسر ملكهم الذي دفع الجزية، وهدم الصنم ودوله في حروب الردة انتصارات كثيرة ومعركة اليمامة التي انتصر فيها على مسيلمة الكذاب مدعي النبوة وفتح حصونها. ودوره في فتح فارس في معركة ذات السلاسل اذ ربط الفرس الجحوس جنودهم بسلاسل، حتى لا يفروا أمام المسلمين وبارز هرمل قائد الفرس فقتله مما سهل الفتح امام المسلمين ثم انتصر في الوجلة ثم في اليس حتى فتح الحيرة وهي عاصمة العراق. أما دوره في الشام فأكبر واشهر وقصته في اجتياز بادية الشام يعجب لها القادة العسكريون

إذ توجه من العراق إلى الشام من قلب الصحراء ومعه الدليل رافع بن عميرة الطائي حتى انتصر على الغساسنة نصرا حاسما في مرج راهط ثم في بصري واجتمعت جيوش المسلمين لقتال الروم في أجنادين وانتصروا عليهم ثم الانتصار الكبير في اليرموك الذي ثبت اقدام المسلمين في الشام منهيًا وجود الروم فيها. وبعد ان عزله عمر وتولي أبو عبيدة القيادة العامة في الشام انتصر على تيودورس قائد الروم قرب دمشق، ثم حاصر حمص فاستسلم أهلها، وتبعهم حماة واللاذقية. ثم جاء الانتصار الكبير في انطاكية ثم خاض هرقل معركة فاصلة حاسمة في حمص عاصمة المسلمين في الشام، وجمع لها كل جنوده وحلفاؤه من المسيحيين العرب ووجه عمر كل قوات وجيوش المسلمين بقيادة أبي عبيدة وخالد وسعد بن ابي وقاص والقعقاع بن عمرو فنتصر المسلمون انتصارا مدويا في حمص وانتهى وجود الروم في الشام فجاء القرار من عمر بفتح بلاد ما بين النهرين ففتح الرها. وله وديار بكر وارمينيا وضمهم إلى قنسرين. وقصته مع بني يربوع اثناء حروب الردة ومع مالك بن نويرة وامراته وان خالد تسرع في قتل مالك البعض انكرها والبعض اقرها ومن اقرها لم يقتل مالك على سبيل القتل وإنما لشعور خالد بنفاقه وهي مسألة لا تؤثر في شيء لأن مالكا كان يصلي دون ان ياتي بالزكاة وقد عذره أبو بكر لجهله بالحكم الصحيح في هذه المسألة فقد تأول وأخطأ.

داهية العرب

كان من أبرز القادة داهية العرب عمرو بن العاص وكان صديقا لخالد وكان خالد شديد الشبه بعمر بن الخطاب فلما اسلم خالد وعمرو وعثمان بن طلحة معا في عام ٨ هجرية بعد صلح الحديبية كان فتحا عظيما ووضع عمر تحت بصرة ليعتمد على فكره الحربي وبراعته وذكائه الشديد في الفتوحات فولاه مصر وكانت أهم ولايات المسلمين فهي قوة بشرية هائلة لكثرة عدد اهلها قوة مالية وقاعدة لتأمين الحجاز والشام والعراق وقاعدة لفتح أفريقية في ما بعد. وقد أحبه أهل مصر جدا فقد عادت أجراس كنيستنا القبطية الارثوذكسية لتدق من جديد بعد اضطهاد وبطش الرومان وله معارك كثيرة أخرى فقد نشأ أبوه العاص بن وائل احد سادة قريش نشأة الفرسان وقد ولاه النبي

سرية ضد قبيلة قضاة دفاعا عن المدينة وشارك أيام أبي بكر في فتح الشام وفتح فلسطين وشارك في معارك اليرموك وذات السلاسل كأحد قواد جيش المسلمين وقال عمر بن الخطاب عنه ودوره الكبير في فتح بيت المقدس رمينا ارطوبون الروم بارطوبون العرب (ارطوبون قائد رومي بارز وشديد الحيلة والذكاء). وله دور كبير في معركة صفين اذ أشار على معاوية بالتحكيم ورفع المصحف لأنهم كانوا سيهزمون شر هزيمة امام على كرم الله وجهه وكان وكيله في التحكيم. ولما صار معاوية خليفة عينه واليا على مصر وبها دفن في مسجده الشهير. وقصة المصري المسيحي، الذي ضربه ابنه وقد شكاه لعمر في المدينة وقد طالب عمر المصري ان يضرب عمرو بن العاص، ولكن الشاب رفض حبا وتقديرا للوالي. ومن الصحابة الذين أحدثوا تحولا اقتصاديا كبيرا في ميزان قوة المسلمين **ثمامة بن أثال** وهو زعيم اليمامة وهي مصدر القمح والحبوب والمحاصيل لمكة وكان ملكا مسيحيا وقع في أسر المسلمين وأحسن النبي إليه وسقاه من ناقته فأندهش من أخلاق المسلمين واسلم وكان أول معتمر في تاريخ الإسلام وكان هدد قريش انه لن يصلهم من اليمامة حبة قمح واحدة إذا أساوا للنبي. ومن أقواله للنبي "لقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلي وأصبح دينك أحب الدين إلى قلبي لأضعن نفسي وسيفي وأهلي في نصره دينك".

أبو ذر الغفاري

من الصحابة الذين غيروا مجري التاريخ، ولعبوا دورا مؤثرا ليس فقط في حياتهم ولكن بعد موتهم أبو ذر جندب بن جنادة الغفاري رضي الله تعالى عنه. أبو ذر كان من قبيلة اشتهرت بالسطو وقطع الطريق في الجاهلية ولذلك تربي عنده عقدة تجاه الأغنياء فكان يسلبهم ما لهم فلما ناداه أبو بكر الصديق فقال: "يا أبا ذر هل أنت تائه في جاهليتك فقال: نعم" حتى اسلم فكان سببا في دخول قبيلته في الإسلام، فتحول ما كان في قلبه إلى عطف على الفقراء ومحبة للعدل فكان من اوائل الداعين إلى العدالة الاجتماعية أو ما يعرف الآن بالاشتراكية والاقتصاد الاجتماعي وحتى مواقفه السياسية وانحيازاته دائما كانت للفقراء وهو نموذج غير تقليدي للصحابي المتواضع الفقير غير النموذج التقليدي عن التاجر أو الغني أو السيد القوي مثل ابي بكر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وعثمان

ومعاوية. وكان أبو ذر من السابقين للإسلام ومن كبار الصحابة ومما قال أبو ذر (ما ترك رسول الله شيئاً مما صبه جبريل وميكائيل في صدره إلا صبه في صدري). وقال للنبي يا رسول الله ذهب أصحاب الدثور بالأحور — يقصد الأغنياء يتبرعون للجهاد والدعوة — صلوا كما نصلي ويصومون كما نصوم ولهم فضول أموال يتصدقون بها فقال النبي : (يا أبا ذر ألا أعلمك كلمات تدرك بهن من سبقك ولا يلحقك من خلفك إلا من أخذ بمثل عملك، تكبر الله دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين وتحمده ثلاثاً وثلاثين وتسبحه ثلاثاً وثلاثين وتختتمها بلا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحي ويميت وهو على كل شيء قدير). و من أقواله (وما أصنع بأن أكون أميراً وإنما يكفيني كل يوم شربة من ماء أو لبن وفي الجمعة بعض القمح) (كان قوتي على عهد رسول الله صاعاً من التمر فلسست بزائد عليه حتى القي الله تعالى). وقال عنه النبي صلى الله عليه وآله (ما تقل الغبراء ولا تظل الخضراء على ذي لهجة اصدق وأوفي من أبي ذر شبیه عیسی ابن مریم فسأله عمر : يا نبي الله أفنعرف ذلك له قال : نعم فاعرفوا له). وكان رضي الله عنه محباً للجهاد وقد خرج للجهاد ماشياً يوم تبوك فقال عنه النبي (رحم الله أبا ذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده) وقال له النبي واصفا تواضعه وزهده وعدم حبه للقيادة وعزوفه عن المناصب (يا أبا ذر انك ضعيف — امرؤ فيك ضعف يعني كراهيته للأغنياء — وإها أمانة وإها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذ بحقها وادي الذي عليه فيها). وسال أبو ذر النبي عن الإسراء والمعراج وقال هل رأيت ربك فرد النبي (نور فاني أراه) يعني كيف أراه وروي عن النبي حديثاً مشهوراً (أي العمل أفضل فقال : إيمان بالله وجهاد في سبيله). وبدأت دعوته الإصلاحية للزهد وعدم الإسراف والترف أيام خلافة عثمان حيث زاد الثراء وبوركت الأرزاق والأموال فكان يذهب أبو ذر إلى البلاد يعظهم بقوله الله (والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم يوم يحمي عليها في نار جهنم فتكوي بها جباههم وجنوحهم وظهورهم هذا ما كترتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكفرون) (فراي معاوية رضي الله عنه هذا المد (الاشتراكي) إن جاز التعبير أمام المذهب الرأسمالي للخليفة عثمان وواليه معاوية رضي الله عنهم فقال معاوية لأبي ذر أنها نزلت في الذين اوتوت الكتاب. فاستدعاه الخليفة إلى المدينة فرد أبو ذر ليس لي حاجة في دنياكم وذهب بعدها للعراق وهناك طالبه بعض أهل البدع الفوضويين المخربين بالخروج على الخليفة

عثمان فنهرهم قائلاً والله لو صلبني عثمان لسمعت وأطعت واحتسبت ورأيت ذلك خير لي وكان دائماً يردد إني اسمه وأطيع لو تأمر (صار أميراً) على عبدا حبشياً. وهو من الصحابة الذين اجمعوا على حبهم المسلمين فهو من الأركان الأربعة عند الشيعة وهو عندهم من الذين لم يرتدوا بعد موت النبي وقد ناصر أبو ذر الإمام علي في كل مراحل التاريخ الإسلامي. وفي روايات أن اللجنة تشتاق إلى علي وعمار وسلمان والمقداد. وكان الإمام علي هو من دل أبو ذر على مكان النبي ليسلم وقد اثني عليه الإمام علي في نهج البلاغة ثناء كبيراً لتقواه وحبه للدين والفقراء.

آل ياسر

من القامات المضيئة في تاريخ الصحابة عمار بن ياسر رضي الله عنه فهو الرجل الذي تغير التاريخ لأجله ويترل من الوحي لأجله. وبه تنتهي المعارك والفتن فكان من السابقين للإسلام مع أهله، وقد تعرضوا لصنوف التعذيب على يد الكفار فبشرهم النبي بالجنة (صبرا آل ياسر فان موعدكم الجنة) (اللهم لا تعذب أحداً من آل عمار بالنار)، وأمه سمية بنت خياط أول شهيدة في الإسلام وزوجها ياسر فكانا أول شهيدين زوجين في الإسلام. وعمار فمن التعذيب قد فقد وعيه وارتد عن الإسلام فجاء للنبي وهو حزين يبكي فيترل قول الله تعالى (إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان) فقال النبي: (يا عمار إن عادوا فعد فقد أنزل الله عذرك)، وبعد ذلك شهد بدرًا واحداً وبيعة الرضوان وموقعة اليمامة وحضر الغزوات كلها وكان من المقدمين في الجيش وقد ولاه عمر ولاية الكوفة. أخبر النبي في حياته عن دور عمار في الفتنة (ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار)، فكان موته علامة أن الفئة الباغية تقتله ويكون في الجيش المنتصر والفئة التي على حق، وبذلك انتهى القتال بين علي ومعاوية وكان عمار في صف الإمام علي يوم صفين. ومن الصحابة الذين سلكوا نفس منهج عمار حجر بن عدي رضي الله عنه وكان من القلائل الذين شاركوا في دفن أبي ذر وكان من المناصرين للإمام علي واحد قواده وكان من القادة في صفين والنهروان. ومن الذين ضربوا أروع أمثلة في الشبات والفداء والبطولة والشهادة حمزة عم النبي، وهو سيد الشهداء استشهد في أحد ومن

استشهد في احد أيضاً مصعب بن عمير رضي الله عنه مدلل قريش الذي كانوا يدفعون اموالا لتغسل ملابسهم مع ملابسه وترك كل هذا وبعد الإسلام ارتدى جلد شاه وهاجر المهجرتين .ومن الصحابة الذين نقلوا علوم الدين أبو هريرة وجابر بن عبد الله وابن عباس وابن عمر وأبي الدرداء.

السلام عليك يا قمر بني هاشم يا ساقى عطاشى كربلاء

من أروع أمثلة الفداء بعد جيل الصحابة الذين ضربوا المثل في التمسك بالكتاب والسنة والذي رفع شعارا العطاء حتى لو أعطي حياته فداء للإسلام والمسلمين حتى تكون كلمة الله هي العليا هو العباس بن علي بن ابي طالب ويكنى أبا الفضل وأمه السيدة أم البنين فاطمة بنت حزام رضي الله عنها.استشهد ابا الفضل العباس في كربلاء مع أخيه الإمام الحسين وضريحه ومسجده في العراق معروف باسم العتبة العباسية وعرف عنه رضي الله عنه الشجاعة الكبيرة فقد ورث الفروسية عن أبيه الإمام علي وعن أخواله فقد عرفوا بالشجاعة والبسالة. كان حامل لواء الحسين يوم كربلاء فسمي حامل اللواء ومقدم السرية والعميد وباب الحسين، وسبع القنطرة وحامي الطعينة، لانه كان مسئولاً عن انتقال وخدمة ال البيت من المدينة إلى كربلاء، وكان مسئولاً عن الماء فكان ساقىهم فسمي ساقى عطاشى كربلاء وقمر بني هاشم فقد كان يقوم على خدمتهم وتأمينهم وحمائتهم.ولكثرة محبة المسلمين له ولبركته الكبيرة فانه سمي باب الحوائج لأن الدعاء يكثر في مسجده ويستجيب الله عز وجل لهذه الدعوات ويفرج كرب الناس من المؤمنين المحبين لابي الفضل العباس وال بيت النبوة عليهم السلام.وعرف بامانته وحفظه للعهد فقد حاول شمر بن ذي الجوشن عليه لعنة الله يوم كربلاء أن يستميل العباس وإخوته بعيداً عن صف أخيهما الحسين وان ينجوا بأنفسهم فرفضوا وقال العباس إنما نفسي دون نفس الحسين وحارب العباس مع ابيه في الجمل وصفين والنهروان وكان مع اخوته في حماية امير المؤمنين عثمان رضي الله عنه يوم استشهاده . وكان يحاول إحضار الماء ليشرب آل البيت المحاصرين في كربلاء حتى قتل غدرا.

علي السجّاد زين العابدين ونحنا من مقتلة كربلاء طفل واحد وهو علي بن الحسين ولقب بالسجاد لكثرة سجوده وبزين العابدين لكثرة عبادته وخشوعه وتقواه واراد الله عز وجل الا ينقطع نور محمد وال محمد عن البشر بعد كربلاء فنجأ هذا الطفل وهو

الوحيد من آل البيت الذي نجا وكل ذرية الإمام على والإمام الحسين هي من أبناء على زين العابدين السجاد رضي الله عنه. واحبه المسلمون جميعا وهو باتفاق أهل السنة اعلم أهل زمانه وأفقههم واعبدهم واتقاهم قيل عنه (ما رأيت قرشيا أفضل منه) (ما رأيت هاشميا أفضل من زين العابدين ولا أفقه منه)، قال سعيد بن المسيب: (ما رأيت قط أفضل من على بن الحسين)، وبشر به النبي في حديثه لجابر بن عبد الله وكان الإمام الحسين في حجر رسول الله (يولد لهذا ولد اسمه على إذا كان يوم القيامة نادي مناد ليقيم سيد العابدين فيقوم ولده ثم يولد له ولد اسمه محمد فان أنت أدركته يا جابر فإقرأه مني السلام) وكان له أورد وأدعية يقرؤها سميت بالصحيفة السجادية. يقول المؤرخون ما فقد أهل المدينة صدقة السر إلا بموت زين العابدين وقال محمد بن إسحق كان الناس في المدينة يعيشون لا يدرون من أين معاشهم ومأكلهم فلما مات زين العابدين فقدوا من كان يأتيهم ليلا. وكان يرفع الحمل على ظهره بالحبال فلما مات ظهرت علامات الحبال على ظهره وكان عنده جارية حمقاء تصب له ليتوضأ فسقط الأبريق فشج رأسه وسال منه الدم فاعتقها لوجه الله لقوله تعالى (والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين) وأنشد فيه الفرزدق شعرا رائعا (هذا الذي تعرف البطحاء وطاته والبيت يعرفه والحل والحرم) ومن مقالته في الحكمة (الرضا بمكروه القضاء أرفع درجات اليقين) (من قنع بما قسم له فهو أغني الناس) ومن أدواره العظمي في حفظ الإسلام انه لولا لضاعت الكعبة وما حج المسلمون لانه لما هاجم الحجاج بن يوسف مكة وضرب الكعبة بالمنجنيق. وقتله ابن الزبير وهدمها انتهبها (سرقوها) الناس واخذوا أحجارها وترابها للتبرك بها فاحتار الحجاج ماذا يفعل فأشاروا عليه بان يرسل لزين العابدين — رضي الله عنه — فأمر الناس أن يعيدوا ما أخذوا وشارك في البناء بيديه الشريفتين وقد علم البنائين كيف يبنوا وعلى أي ارتفاع ووضع الحجر الأسود بيديه الشريفتين. وما كاد هذا ليحدث لولا أنقذته العناية الإلهية في كربلاء التي قبضت له أخته السيدة زينب وهي عقيلة بني هاشم بنت الإمام الحسين ولقبت بالحوراء وزينب الكبرى وأم المصائب والطاهرة والسيدة وهو لقب اختصها به أهل مصر أو أم العواجز وهو لقبها في مصر أيضاً حيث شرفت مصر بقدمها مع أخيها زين العابدين. عندما أراد جيش يزيد أن يقتل زين العابدين وكان مريضا فاحتضنته بقوة ونهرتهم وقالت لهم قولوا بليغا وأن روحها دون روحه ففدت أخيها

بنفسها حتى اقتادوهم جميعا سبايا ومعهم رأس الحسين الموجود في مسجده الشهير بالقاهرة الآن وخطبت خطبة بليغة في أهل العراق نبهتهم لشديد المصاب وعظيم جرم يزيد الفاجر، وعندما وصلت الشام خطبت في أهل الشام فغيرت موقفهم المؤيد ليزيد إلى تعاطف مع الحسين وعدالة قضيته فكانت بذلك رائدة من رائدات العمل الإسلامي. وهي التي حولت مسيرتها مع نساء بيت النبوة إلى يزيد إلى مواكب الإباء، وعندما حاول جيش يزيد قتله قال لهم زين العابدين "اقتلوني إني لا أخاف الموت" إنا قوم الموت لنا عادة وكرامتنا عند الله الشهادة وعندما ضيق عليها بنو أمية بعد عودتها للحجاز فاضطروها للهجرة في أرض الله الواسعة فاختارت مصر وخرج المصريون لاستقبالها فتلت قول الله تعالى (هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون) ولا زال حتى الآن مقام ومسجد وحي زين العابدين والسيدة زينب في القاهرة وأبنائهم وأحفادهم ملأوا مصر نورا نبويا. ومن تلك الأنوار السيدة نفيسة بنت الحسن الأنور بن زيد الأبلج بن الحسن بن علي بن أبي طالب وسميت نفيسة العلم ولها كرامات كثيرة ومسجدها وحيها وقبرها ينير القاهرة ويدفع الإيمان لقلوب أهل مصر دفعا وقد اخذ عنها الشافعي صاحب المذهب علمه الغزير وتروي زينب بنت أخيها الحسن المتوج أنها خدمت عمته نفيسة أربعين عاما كلها صيام وقام وقرآن وتفسير وتعليم للدين والفقهاء رضي الله عنها وعن آبائها وعن آل البيت جميعا.

السفير

ومن أكثر الشخصيات في تاريخ الإسلام إحسانا وإخلاصا ووفاء مسلم بن عقيل بن أبي طالب الهاشمي رضي الله عنه، وكانت زوجته السيدة رقية بنت علي بن أبي طالب رضي الله عنها، وكان قويا شجاعا وآتاه الله عز وجل فضلا أنه يرفع الرجل بيده فيلقيه أرضا مثل موسى عليه السلام وقال عنه أبو هريرة (ما رايت من ولد عبد المطلب أشبه بالنبي من مسلم بن عقيل). وشارك في صفين وكان على ميمنة الجيش وبعد وفاة معاوية رضي الله عنه وتولي يزيد للملك وارسال أهل العراق للإمام الحسين مطالبينه بالسير إليهم والبيعة له فاختار الإمام الحسين مسلم بن عقيل رضي الله عنه ليكون سفيره في العراق وداعية له بالبيعة حتى سافر إلى الكوفة تقبله ثمانية عشر الفا من الشيعة فارسل مسلم إلى

الإمام الحسين يخبره بالقدوم إلى الكوفة لأنهم بايعوه ثم تطورت الأحداث بعد ذلك وخذله الشيعة ولم يخرجوا لمناصرته كما وعدوا مسلم بن عقيل وبعضهم رضخ لضغوط بنو أمية خوفاً من بطشهم والآخرين رضوا بالمال فدعا عليهم الإمام الحسين (اللهم ان متعتهم إلى حين ففرقهم فرقا واجعلهم طرائق قددا ولا ترضي عنهم الولاية أبدا إنهم دعونا لينصرونا ثم عدوا علينا فقتلونا)، وذكر الطبرسي في الاحتجاج (الم تكتبوا إلى أن قد أينعت الثمار وإنما تقدم على جند مجندة تبا لكم أيها الجماعة حين على استصرختمونا واليهين فشحذتم علينا سيفاً كان بأيدينا وحششتهم ناراً أضرمنها على عدوكم وعدونا فأصبحتم ألباً أوليائكم وسحقاً ويذاً على أعدائكم استسرعتم إلى بيعتنا كطيرة الذباب وتهاقتم إلينا كتهافت الفراش ثم نقضتموها سفها بعدا لطواغيت هذه الأمة). ولما عين يزيد عبید الله بن زياد أميراً للكوفة احتال حيلة فارتدي ملابس الحجازيين وعليها عمامة سوداء كعمامة الحسين وتلثم فغطي وجهه فلم يعرفه أحد ولكن اعتقدوا أنه الحسين فلم عرفوا أنه عبید الله حزن الناس واغتموا وكان مسلم بن عقيل محتبئ بيت هانئ بن عروة وعذبه عبید الله، ولكنه لم يدل على مكان مسلم وحاول مسلم القيام بثورة لاستعادة هانئ وبدأ عبید الله إرسال جواسيسه والقيام برشوة القبائل حتى لا ينضموا لمسلم بن عقيل فلما عرفوا مكانه حاصرته الشرطة فخرج لهم وانتصر عليهم مع كثرة عددهم فأمنه عبید الله مقابل الاستسلام ولكنهم غدروا به وقتله عبید الله بن زياد وقبل استشهاده كان يبكي بشدة (إني والله ما لنفسي أبكي ولا لها من القتل أرثي وإن كنت لم أحب لها طرفة عين تلفاً ولكن أبكي لأهلي المقبلين إلى أبكي لحسين وآل حسين).

الحر

ولكن ليس كل جنود يزيد وعبید الله بن زياد أهل باطل وأولياء للشيطان فكان منهم من عاد للحق وانشق عنهم وانضم لأولياء الرحمن وصف الإمام الحسين ومنهم الحر بن يزيد الرياحي التميمي رضي الله عنه فكان واحداً من قواد شرطة عبید الله بن زياد وكان أشجع أهل الكوفة فلما رأى إصرار القوم على قتال الحسين تاب واستغفر وقال: (إني والله

لأخيراً نفسي بين الجنة والنار، و والله لا أختار على الجنة شيئاً ولو قطعت وحرقت)
وانضم للإمام الحسين في المعركة.

يا لثارات الحسين ولكن بعد هذه المعركة وأثارها الكبرى على العالم الإسلامي خرج
ثائرون مطالبون بالحق والعدل والقسط وبالقصاص العادل من القتلة المجرمين ورفعوا شعار
(يا لثارات الحسين) مطالبين بالثأر لدماء الإمام الحسين ومنهم شخصية مثيرة للجدل وهي
المختار بن أبي عبيد الثقفي ودفن في مسجد الكوفة مع مسلم بن عقيل وابوه أبي عبيد
جاهد مع عمر بن الخطاب ضد الفرس واستشهد وهو صهر عبد الله بن عمر بن الخطاب
ولما بلغت دعوة مسلم بن عقيل وكان من الأمراء في الكوفة قال لأنصرنه فبلغ الأمر عبيد
الله بن زياد فجلده وحبسه فلما أطلق سراحه بشفاعة عبد الله بن عمر بن الخطاب توجه
إلى الحجاز وانضم لعبد الله بن الزبير وناصره ثم عاد إلى الكوفة فخلع الوالي ابن مطيع
وارسل كتاباً لابن الزبير يخبره أنه على السمع والطاعة له وخطب له على المنبر ودعا بسمه
في الجمعة فافقه ابن الزبير واليا عليها فلما استقر للمختار الثقفي الأمر في الكوفة فبدأ في
تتبع قتلة الحسين للاخذ بثأره وقتل من المجرمين عبيد الله بن زياد وعمر بن سعد بن أبي
وقاص وشمر بن ذي الجوشن قاتل الحسين وسانن بن أبي انس وخولي بن يزيد الاصبحي
وحرملة بن كاهل وكان مؤيداً لمحمد بن الحنفية بن علي أبي طالب شقيق الحسين
والمطالب بثأره حتى حدثت خلافات وشقاكات بينه وبين الزبير على ملك العراق فارسل
ابن الزبير اخاه مصعب بن الزبير فتوجه اليه في جيش كبير وانضم له المهلب بن أبي صفرة
وقتلوه وبددوا ملكه وتذكر بعض الروايات التي لا دليل عليها أو اثر انه كان كاذباً وظالماً
وانه ادعى النبوة . وكان من كبار قواده وخيرتهم إبراهيم بن مالك الاشتر النخعي رضي
الله عنه فكان موالياً لابن الزبير (وقت طاعة المختار لابن الزبير) وقد شهد صفين وكان
خرج مع المختار طالبا دم الحسين وكان المختار ارسله في عشرون الف مقاتل لقتال عبيد
الله بن زياد الذي كان جيشه ثمانين ألفاً، ولكن إبراهيم انتصر عليهم وقتل عبيد الله بن
زياد فقطع راسه فأرسلها إلى المختار فأرسلها المختار إلى عبد الله بن الزبير في مكة
.وامتداداً لاصداء مقتلة كربلاء لم يسكت صوت الحق ضد الظلم وخرج كثيرون مطالبين
به حتى ظهر ذلك شعراً وأدباً وفكراً ومنهم **دعبل الخزاعي** (بنات زياد مقصورات في

الخيام وال رسول الله في الفلوات) والكميت بن زيد الاسدي شاعر بني هاشم والمسماة قصائده بالهاشميات وهو أول من جاهر بالتشيع متفاخرا بذلك بشعره وهو مجدد في الشعر العربي بكل المقاييس لادخاله الجدل المنطقي في موضوعاته فشعره مذهبي وعقلي ذهني وتعرض للاذي الشديد من الحكام المعاصرين له وقال عنه الفرزدق (أنت والله أشعر من مضي واشعر من بقي). وقيل عنه (أشعر الجاهليين امرؤ القيس وزهير وعبيد بن الأبرص وأشعر الإسلاميين الفرزدق وجريز والراعي والأحطل والكميت أشعر الأولين والآخرين) وهجا يوسف بن عمر الثقفي والي العراق الذي قتل زيد بن علي أيام ثورته على هشام بن عبد الملك.

الأشتر

عرفت الأمة الإسلامية قديما رجالا كالرواسي في الإيمان والجمال الراسخة حفاظا على المبدأ وعلي نصره الحق وحب الدين وحب القرآن والتعلق بال البيت والصحابة وتنفيذ أوامر الله واتباع السنة ومن هؤلاء مالك بن الحارث النخعي رضي الله عنه الملقب بمالك الاشتر وسمي بالأشتر لأنه في موقعة اليرموك ضربه رجل على رأسه فسال الدم إلى عينيه وكان من ابطال معركة اليرموك . ومن بطولاته فتح امد وميفارقين قرب حدود تركيا وفي فتح الموصل قتل بيورنيك الارمني وكان ملكا وقائدا وقصته مع الجهاد بدأت مع الخليفة ابي بكر الصديق وكتب رسالة إلى قائده في الشام خالد بن الوليد يحمسه فيها للقتال وان الجيش فيه من الابطال من مكة واليمن وحدد بن معد يكرب الزبيدي ومالك بن الاشتر النخعي وحتى لما توفي الصديق رضي الله عنه وتولي ابي عبيدة حتى خاض المسلمون معركة القادسية الفاصلة ضد الفرس الجوس فقد كانت قبيلته ربع الجيش يومها وابلوا بلاء حسنا وعلي راسهم مالك بن الاشتر . وشهد مع الإمام على معاركه وكان في الجمل وصفين وظهر شجاعة وفروسية نادرة وولاه الإمام على حكم مصر وبها دفن وقبره رضي الله عنه لازال موجودا يعرفه المصريون ويقصده الناس للزيارة من دول مختلفة ، وبعد وفاته علم الإمام على فقال (لله در مالك لو كان من جبل لكان أعظم أركانه ولو كان من حجر لكان صلدا) ومات مسموما رضي الله عنه وبعض الروايات الغير موثقة

تتهمه بما ليس فيه انه ممن قتل عثمان وهذا محال ان يولي الإمام على رجل من الفجار القتلة لعثمان رضي الله عنه وهناك اتهامات لمعاوية رضي الله عنه بقتله وهي أيضاً لا أدلة عملية عليها وكان الاشر محمد السيرة في كتب المسلمين جميعا من السنة والشيعة وكان فصيحاً بليغاً وكاد يقتل معاوية قبل أن يلجأ إلى التحكيم يوم صفين ويوم الجمل بارز بن الزبير طويلاً امام هودج السيدة عائشة ولكنه حماه واحتضنه حتى لا يقتله جيش الإمام على فحمي ابن الزبير وحمي هودج السيدة عائشة وقال اقتلوني وعبد الله . ولما دخل وفد مذبح (قبيلته) وكان من بينهم صوب النظر إليه طويلاً فقال عمر رضي الله عنه اني لأري للمسلمين منه يوماً عصيباً .

حركة التوابين

ومن مثله من الأبطال الأتقياء الصحابي الجليل سليمان بن صرد الخزاعي رضي الله عنه ولقب بأبي مطرف وكان محباً لآل البيت مناصراً لهم سكن الكوفة فكان أول خزاعي يبني بيتاً فيها قاتل مع الإمام على في الجمل وصفين والنهروان وقتل حوشياً ذا ظليم الالهاني في صفين عندما بارزه وحبسه عبيد الله بن يزيد ابان قدوم الحسين إلى الكوفة وكان من أول مراسليه وأحس بذنب شديد بعدما استشهد الحسين فقرّر ان ينتقم ورفع راية الثورة على يزيد بن معاوية مؤسساً لحركة التوابين لقوله (ما لنا توبة إلا أن نطلب بدمه) فخرجوا بالكوفة وقاتلوا في معركة عين الوردة ولكنهم هزموا واستشهد سليمان بن صرد رضي الله عنه . وكان زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب واليه ينسب مذهب الزيدية وكان له وأخيه محمد الباقر أثر في امتداد نور آل البيت علماً وديناً وثورة ضد الظلم فقد عرف عنه الورع والزهد والتقوي والعبادة وعن أخيه محمد العلم لأن الباقر كان يبقر بطون العلم والكتب وقوله عن أبي بكر وعمر (ما سمعت احداً من آبائي تبرا منهما ولا يقول فيما إلا خيراً) وله تراث فكري حافل وخرج منادياً بالثورة ضد بني أمية وخاض معركة كبيرة حامية ضد جيش الشام مع الوالي الأموي حتى قتلوه وصلبوه وأرسلوا رأسه الشريف إلى بعض المدن تنكيلاً منهم به وترهيباً للناس .

سعد بن الربيع

كان هذا النهج دائما فتح الصحابة فقد لازموا الحق وساروا على دربه فحموا بدمائهم وأرواحهم الدين وعلمونا الناس القرآن والسنة وكان الأنصار خير مثال على ذلك لقوله تعالى (والذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم) ومنهم سعد بن الربيع الذي آخي الرسول بينه وبين عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم وحضر بدر واحد وبائع بيعة العقبة وسعد بن معاذ رضي الله عنه الذي اهتز لموته عرش الرحمن وكان سيد قبيلة الأوس وبإسلامه توطد الإيمان في المدينة المنورة اذ دخلت قبيته كلها في الإسلام ونزل ليشهد جنازته سبعون ألف ملك لم يتزلوا الأرض من قبل وحضر بدر واحد والخندق. وسعد بن عباد رضي الله عنه زعيم الخزرج وقد شهد بيعة العقبة وكان احد المرشحين لخلافة النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته قبل ان يتولي أبو بكر الصديق الخلافة وهو الذي قال يوم السقيفة (منكم الأمراء ومنا الوزراء) وكان يومها في مرض شديد. ودعا له النبي (اللهم اجعل صلواتك ورحمتك على آل سعد بن عباد) ويقول ابن عباس (كان للنبي في المواطن رايتان مع علي بن أبي طالب راية المهاجرين ومع سعد بن عباد راية الأنصار). وكان ابنه قيس بن سعد بن عباد الملقب بالدهية الجواد احد الذين لعبوا دورا مؤثرا في الأحداث في عهد الخلفاء فكان يقول (لولا الإسلام لمكرت مكر لا تطيقه العرب) وكان صحابيا جليلا يطعم الناس في أسفاره مع النبي وكان حامل لواء الأنصار يوم فتح مكة وشهد مع النبي الغزوات وقد كان مع الإمام علي في الفتنة وقد تولى ولاية مصر وحارب معاوية في صفوف الإمام الحسن رضي الله عنه. وفي أيام خلافة معاوية رضي الله عنه ارسل له ملك الروم رجلين هما أطول رجل واقوي رجل في الروم وراهن ملك الروم عليهما ان كان في العرب من يفوقهما بعث اليه بالأسري والأموال وان لم يكن فالهدنة ٣ سنين فأرسل معاوية إلى محمد بن الحنفية رضي الله عنه فغلب قوي الروم وأرسل معاوية إلى قيس فكان رضي الله عنه أطول من طويل الروم فغلب معاوية ملك الروم في الرهان وأخذ منه الأسرى والأموال.

تاريخ الخلافة

عاشت الدولة الإسلامية بعد عصر الخلفاء الراشدين وتولي بني أمية مقاليد الحكم أحداثاً جساماً من ثورات وقتل وحصار وصراعات ولمدة تسعين عاماً هي مدة حكم بني أمية ولكنه شهد أيضاً فتوحات كبيرة وازدهار وقوة اقتصادية كبيرة، فليست عهود كل الخلفاء على نفس المنوال فقد كان هناك العادل مثل عمر بن عبد العزيز وهناك الناصبي الفاجر مثل يزيد وهناك الرجل المقسط الحكيم رجل الدولة مثل معاوية رضي الله عنه وبشكل عام اتسم عهد بني أمية بالطابع القبلي للإدارة أكثر منه إدارة الدولة وبامتياز يعتبر معاوية مؤسساً هذه الدولة وأول ملوك الإسلام بالمعنى التقليدي للملك ولم يكن اخلق ولا أليق للملك منه فكان الاعتماد على العنصر العربي هو السائد في حكم بني أمية والاعتماد على أهل الثقة وتقسيم الوظائف الحيوية على بني أمية دون غيرهم ولم يكن هناك فارق بين أموال الدولة وأموال الخليفة فكان الخليفة يملك كل الأموال وكل الأراضي في الدولة ويهب من يشاء ويحرم من يشاء لذلك كان عامل تدين الخليفة وتقواه عنصر مهم وأساسي إذ كان دائماً محاط بعلماء دين يختارهم بدقة مؤيدين لمذهبه الفكري أو الاعتقادي لإقصائه الآخرين المعارضين أو المخالفين وكان أول أساس في دولة بني أمية أن الخروج على الحاكم حرام وأحياناً يبيح قتله واهتم بنو أمية بالإعلام والدعاية فكان الشعراء والأدباء والمؤرخين وعلماء الدين هم الجزء الأساسي من هذه المنظومة وعمل بني أمية على توطيد ملكهم من خلال مبدأ فرق تسد بين القبائل فيقربون مجموعة منهم بالمال أو المناصب ويبطشون بالمجموعة الأخرى أحياناً ترغيباً وترهيباً أو بإشعال صراعات داخلية بين القبائل لينشغلوا ولا يثوروا واعتمدوا أحياناً مبدأ الشائعات لتحطيم معارضيتهم ولكن من مميزات ذلك ازدهار أدبي كبير في الشعر والنثر وظهر شعر المهجاء وكان لكل فريق شاعر أو أكثر واشتهر منهم جرير والفرزدق والأخطل وبشار والكميت وحاول كل خليفة أموي أو والي أن يقوم بإنجازات سواء أعمار مثل بناء مساجد أو مستشفيات أو مكتبات أو ترميم المقدسات كالحرمين والمسجد الأقصى واهتموا بالمسجد الأموي في دمشق ودائماً كان كل خليفة يريد زيادة الفتوحات وأعمال الخير كالأوقاف الإسلامية وغيرها واهتموا بطلبة العلم وأجزلوا لهم العطاء أحياناً من باب التقرب إلى الناس بأنهم

يساندون اهل التقوي والصلاح وأحيانا من اوجب العطايا والجوائز والمناصب ومن انجازات عهدهم توسيع رقعة الامبراطورية وزيادة أعداد المسلمين وارتفاع شان الخلافة بين الأمم وتدوين السنة وازدهار علوم الحديث والتوحيد والأدب والشعر والحرص على تدوين تاريخ المسلمين والتصدي لأهل البدع والمخالفين وبدعوا بالتركيز على علوم الدين حتى ينشغل الناس بها إلا أن طابع الثراء والفخامة كان طابعا للدولة التي اتخذت نظاما راسماليا طبقيا شديدا ولكن قلل من أثاره يد الدولة القوية وحالة التقوي والخيرية والصلاح والبر الموجودة لقرب عهدهم بالصحابة والتابعين وبدأت حركة التصوف والزهد تنشا في هذا العصر وكذلك يعتبر عهد بني أمية هو بداية عصر العلوم الإسلامية وظهر المذاهب ويتخذ الإسلام مسارا جديدا فيتحول من عقيدة إلى علم له اصول وفروع كعلوم القرآن والفقه والحديث والتوحيد وإضافة بعدا جديدا للعقيدة وهو الاجتهاد والرأي والقياس إلى المصدرين الأساسيين القرآن والسنة الذين تحولوا إلى علوم أيضا وكل هذا تطور في عهد العباسيين بعدهم ولكن الاستبداد والقبضة الحديدية ضد الحريات وإقصاء العناصر غير العربية كان سلاح ذو حدين فقد حافظ على الخلافة وعلى أفكار المسلمين وسلامة اعتقادهم من تعدد التيارات الفكرية الهدامة ولكن زيادته عن حده جعل عاملي الشعبية وهو تفضيل القوميات الفارسية على الطابع الإسلامي للخلافة وافرز أفكار مشتقة من الزرادشتية والمنوية والهندوكية اختلطت بعقائد المسلمين فاضلت بعضهم إلى ان قامت دعوة بني العباس لتطوي هذه الصفحة بعد عصر اضمحلال وضعف وكانت بلغت الدولة اتساعا من أطراف الصين حتى جنوب فرنسا وشهدت انضمام شمال افريقيا واسبانيا وبلاد السند وماوراء النهر وفي آخر الأيام بعد عهد أحفاد مروان عندما اقترب الزوال تولى الحكم يزيد بن الوليد وكان فاجرا يميل إلى الاتحاد لا يعظم حرمان الله فتواصل بعض المخلصين الغيورين على الدين من ابن اخيه يزيد فعزله وأراح البلاد والعباد من شره وكان يزيد بن الوليد حاكما نزيها تقيا ورعا زاهدا حاول ان يسلك نهج عمر بن عبد العزيز ولولا سوء الحظ لكان استمر فكان للدولة شان آخر ولكنه للأسف لم يستمر طويلا وانهارت الدولة في عهد مروان بن محمد على يد العباسيين في معركة الزاب وقد هرب بعض الامويين إلى المغرب والى الأندلس واقاموا دولتهم الجديدة هناك في الأندلس. قامت الدولة العباسية على العناصر الغير عربية في اكبر مناصب الدولة واستغلوا الفرس في ذلك

استغلالا كبيرا وكذلك الشيعة واعتمد العباسيون في دعوتهم على القرويين والفلاحين والعمال البسطاء وصغار التجار ونقلوا عاصمة الخلافة من دمشق إلى الكوفة ثم الانبار ثم بغداد في عصر اي جعفر المنصور المؤسس الحقيقي للدولة العباسية كدولة لها مؤسسات واضعا شكل الدولة والنظام التي سارت عليه بعده ويعد أول مؤيد للدولة العباسية أبو مسلم الخراساني حيث اعلنت الدولة العباسية في خراسان ثم مرو ثم الكوفة حتى بايع أهل الكوفة أبو العباس السفاح الذي قتل ونهب في دمشق قتلا كبيرا واحرق قصورهم ووطد المنصور الدولة وقضي على الثورات واهتم بالعلم والطرق والمرافق والامن والعمران وكان مقتصدا في النفقات ثم خلفه محمد المهدي وكان محبا للفقراء تقيا صالحا ملتزما بالشرعية ومتدينا وقد أصلح الدولة ممهدا لدخول العصر الذهبي للإسلام واكبر عصور قوته فكان القوة الاولى في العالم ماديا وعسكريا وعلميا وانتشرت كل أنواع العلوم والاختراعات والأدب والفنون.

هارون الرشيد وخلفاؤه

كان عهد هارون الرشيد وأبنائه هو العصر الذهبي للإسلام حيث انتشار وازدهار علوم الدين والعلوم الطبيعية والفيزياء والكيمياء والطب والفلك والرياضيات والأدب وهم الأميين والمأمون والمعتصم اعتمدوا سياسة أن يحيطوا أنفسهم ببطانة من غير العرب كالفرس ثم الأتراك في عهد المعتصم في عهد الواثق كان الأتراك تقريبا هم قوام الجيش، وهذا كان من بدايات سقوط الدولة بسبب ازدياد نفوذ غير العرب ثم تفضيلهم على غيرهم من العناصر، فمرة تكون القوة للفرس ومرة للأتراك ومع حالة حرية التفكير والتعبير وحركة الترجمة والتأليف ظهرت مذاهب إسلامية متعددة وتيارات فكرية متضادة متصارعة واستغل كثير من أعداء الإسلام الفرصة لهدم الإسلام من الداخل من خلال تظاهريهم بالإسلام وبثهم أفكارا وعقائد مغلوطة، ومع اتساع الدولة قويت شوكة الولاة والسلاطين وبعضهم استقل شكليا أو فعليا أو جزئيا أو كليا عن الخليفة في بغداد مع كثرة الثورات وزيادة نزعة الشعوبية والزندقة مع غرق الشعب في طلب العلم سواء علوم الدين والتصوف وبناء المساجد والمكتبات والجامعات والمدارس وغيرها كالفلسفة والعلوم

الطبيعية والأدب والترجمة فكانت الأمة منصرفة عن السياسة وقليل منهم في حالة ترف وإسراف ومجون ومع تنامي الفتوحات ووصول الدولة إلى قمته توقفت الفتوحات فغاب العدو الخارجي الذي كلن يوحد الأمة ومع كثرة الأموال والخيرات زاد النزاع على السلطة ولان العباسيين لم يستعملوا أدوات البطش والفتك بالمعارضين من جهة ومن جهة أخرى الاعتماد على من هم ليسوا بكفاء أو مخلصين فانهارت الدولة بشكلها المركزي أو الإداري التقليدي ولكنها أنتجت شكلا جديدا من الدولة الإسلامية وهو الفيدرالية أو الكونفيدرالية أو اتحاد الولايات الإسلامية فلم يكن للخليفة السلطة المباشرة على حكم الإقليم ولكن كان لا يتولي الحاكم أو الوالي إلا بموافقة الخليفة وكان يرجع إلى الخليفة في الأمور العظمى اذا حدث خلاف بين الولايات أو بين الأسر الحاكمة وكان الخليفة هو الفصيل في المسائل الدينية الشائكة وكان يتولي مسؤولية إقامة الشعائر الدينية وممكن اعتبار ذلك في عصرنا الحالي حكما بين السلطات له سلطات فوق دستورية ومرتبة شرفية يحدد الاتجاهات الدينية والفكرية والمناسك والشعائر والطقوس والأمن والدفاع والسياسة الخارجية ومراقبا على الحكام أما الولاة فهم الحكام التنفيذيين الحقيقيين للدولة

من بعد قوة أنكاشا

من أبرز أسباب سقوط الدولة أيضاً التنزع الفكري فلم يتخذوا مذهباً موحداً رسمياً ولم تكن لهم لغة واحدة فاختلافهم عن عقلية القبيلة التي ادار بها بنو أمية لذلك فان امبراطورية الإسلام الحقيقية هي الدولة العباسية . وكثر الملاحدة والزنادقة والحاقدون على الإسلام لما أعطاه الله من عز وتمكين للمسلمين وقد أهلكوا ممالك البغي والظلم التي هي اصول هؤلاء الزنادقة والملاحدة، ومع أن الخلافة أعطت غير المسلمين كاليهود والمسيحيين حقوقاً وإكراماً كبيراً إلا أن بعضهم كان حاقداً على الإسلام وتجلي ذلك في أشعارهم وأدبهم ومنهم الاخطل (ولست بصائم رمضان عمري ولست بأكل لحم الأضاحي ولست بزائر بيتا عتيقا بمكة ابغني فيه صلاحي ولست بقائم كالعير أدعو مع الاصباح حي على الفلاح) ولكني سأشربها شمولاً - يقصد الخمر - وأسجد عند منبلج الصباحي) وقال أبو نواس (فدعي الملام فقد أطعت غوايتي وصرفت معرفتي إلى الإنكار ورأيت إتياني

للذاذة والهوي وتعجلا من طيب هذه الدار \ ما جاءنا أحد يخبرنا أنه في جنة من مات أو في النار) وفي عهد على بن الفضل الخنفرى الذي استولى على حكم اليمن ثم أعلن الكفر واستحل المحرمات وأبطل العبادة وخرب المساجد فقبل عنه (خذي الدف يا هذي والعبي وبشي فضائل هذا النبي \ تولى نبي بني هاشم وقام نبي بني يعرب \ الكل نبي شرايع وهذه شرائه هذا النبي \ أحل البنات مع الأمهات ومن فضله زاد حل الصبي \ فحط الصلاة وحط الزكاة وحط الصيام ولم يتعب \ فما نبتغي السعي عند الصفا ولا زورة القبر في يشرب \ ان القوم صلوا فلا تنهضي وان صاموا فكلي واشربي \ ولا تمنعي نفسك الناكحين من الأقربين ومن أجنبي \ فكيف حللت لذاك الغريب وصرت محرمة على الأب) وقال عبد الصمد بن المعذل مفضلا زنا المحارم ومحا لدين الجوس (احب بنيتي حبا اراه يزيد على محبات البنات \ اراني منك اهوي قرص خد ورشفا للثنايا والثلاث \ وإلصاقا ببطن منك بطني وضما للقرون الواردات \ وشيئا لست اذكره مليحا به يحطي الفتى عند الفتاة \ أرى حكم الجوس إذا التقينا يكون أحلى من ماء الفرات) وقال أبو نواس عن رمضان (وإذا اتى شهر الصيام ففيه بالمرض اعتل \ وإذا سئلت أجائر فيه اللواط فقل اجل \ منع النفوس من التي تهوي العظيم من الزلل \ لا تقرب البيت الحرام وخله حتى يحل) وقال أبو دلامة كارها ليلة القدر (خافي الهك في نفس قد احتضرت قامت قيامتها بين المصلينا \ ما ليلة القدر من همي فاطلبها إني أخاف المنايا قبل عشرين \ يا ليلة القدر قد كسرت أرجلنا يا ليلة القدر حقا ما تمنينا \ لا بارك الله في خير أومله في ليلة بعدما قمنا ثلاثينا) ومن الشيعة ديك الجن الحمصي (أترك لذة الصهباء عمدا لما وعدوه من لبن وخمر \ حياة ثم موت ثم بعث حديث خرافة يا ام عمر) وقال زعيم الملاحدة أبو العلاء المعري (فقد طال العناء فكم نعاني سطورا عاد كاتبها بطمس \ دعا موسي فزال وقام عيسي وجاء محمد بصلاة خمس \ وقيل يجئ دين غير هذا فأودي الناس بين غد وأمس \ إذا قلت المحال رفعت صوتي ولن قلت اليقين أطلت همسي) (إذا ما ذكرنا ادم وفعاله وتزويجه بنتيه لابنتيه في الحنا \ علمنا بان أصل الخلق من زنية وان جميع الناس من عنصر الزنا) (هفت الحنيفة والنصارى ما اهدت ويهود حارت والجوس مظلة \ اثنان أهل الأرض ذو عقل بلا دين وآخر دين لا عقل له) (ولا تحسبن مقال الرسل حقا ولكن قول زور سطروه \ وكان الناس في عيش رغيد حتى جاؤوا بالمحال كدروه).

أمير الأمراء بجلا عن الخلافة

مع حلول عام ٨٤٧ ميلاديا بدأ الانهيار يدب في أوصال الدولة العباسية وتقلص سلطة الخليفة لصالح الوزراء وقادة الجنود الأتراك. ومع هذا الواقع حاول الخليفة المتوكل التخلص من الأتراك فقتل عددا منهم وحاول نقل العاصمة وغير مذهب الدولة من المعتزلي إلى السني الشافعي وبدأ باضطهاد الشيعة بعد أن تحسنت علاقتهم بأسلافه من الخلفاء وهدم ضريح الإمام علي والإمام الحسين وكنائس العراق ومعابد اليهود مع إلزامهم بارتداء ما يميزهم عن المسلمين وحرمانهم من ركوب الخيل فدبر له الأتراك الخونة مؤامرة لقتله وتمت مبايعة ابنه ثم عاشت الخلافة فترة من عدم الاستقرار والثورات حتى بلغت أملأها ربع ما كان لبني أمية وتدخل الأتراك في تعيين الخليفة وعزله وسجنه وهو ما شجع الولاة على الاستقلال وقامت الثورات وشاعت الفتن. وكان الخلفاء العباسيين في عصور الضعف يعتمدون على ولاة أو أمراء جند أقوياء يحتمون بهم وإذا أراد خليفة أن يغير نفوذ الوزراء والقادة كان يستعين بغيرهم ولهذا استحدثت مناصب مثل أمير الأمراء والسلطان. وأول من استحدث هذا المنصب بدافع حمايته وحماية العرش من الثورات ومن تدخل الأتراك ولعدم قدرة الوزراء على النهوض بمهام الدولة كما يجب كان الخليفة الراضي بالله عام ٩٣٤ هجرياً وكان يعهد لأمير الأمراء بالشؤون المدنية والعسكرية وبالتالي حل منصب أمير الأمراء مهام الوزارة وتولي محمد بن رائق أمير واسط هذا المنصب وقلده الخليفة كافة السلطات والصلاحيات وسادت حالة من الفوضى بينه وبين أحد قادته يسمى بجكم وبين الأتراك وبين الخليفة حتى حسم الأمر دخول الحمدانيون بغداد في عهد المتقي بالله وكان الحمدانيون أسرة شيعية موالية للعباسيين وأعطاهم الخليفة

ألقاب مثل أمير الأمراء وناصر الدولة وسيف الدولة ولكن وحد الأتراك قوتهم بقيادة الأمير توزون وحدث صراع بين الأتراك وبين الحمدانيين واشهر أمرائهم سيف الدولة الحمداني وأبي فراس وشاعرهم المتيني الذي أحدثت أشعاره صدي اعلاميا وشهرة واسعة للحمدانيين وكذلك حربهم وانتصاراتهم ضد الروم ولكن ضعفت الدولة الحمدانية ومعها المتيني بالله حليفهم وأخرجهم الأتراك من بغداد وفر معهم الخليفة إلا أن الأتراك أرسلوا له واعطوه الأمان ولكنهم كعادتهم خائنون كاذبون بعدما عاد عزلوه وسملوا عينيه وبايعوا خليفة غيره ظلت الأمور على سوءها في بغداد حتى دخلها البويهيون وأطاحوا بالأتراك وكان ذلك في عهد معز الدولة البويهي وكان سلطانا من الديلم وبنو بوية اسرة شيعية تميل إلى المذهب الزيدي دخلوا بغداد سنة ٩٤٥ م واطلق على نفسه حامي الخلافة وكان عهدهم عهد استقرار وإحسان وإصلاح وقوة وازدهرت الحركة العلمية والأدبية واهتموا بالمرائد المقدسة اهتماما كبيرا واسسوا المساجد وعمروها وبلغت قوة الدولة في عهد عضد الدولة بن بويه ودام سيطرتهم على بغداد حوالي ١٣٠ عاما ولما قدم معز الدولة أحمد بن بويه في عهد المستكفي بالله وأصبح من هذا التاريخ الخليفة منصبا شرفيا والقوة والسلطة في يد السلطان وكانت الدولة العباسية وقتها مقسمة فكانت الأندلس يحكمها عبد الرحمن الناصر وشمال افريقيا يحكمه الفاطميون وهم من الشيعة الإسماعيلية والمغرب يحكمه الادارسة اما مصر والشام فيحكمهم الاخشيديون ويخطبون باسم الخليفة العباسي اما عمان والبحرين فهي تحت حكم القرامطة وهم من الشيعة الإسماعيلية والجزيرة الفراتية تحت حكم الحمدانيين وبلاد فارس والأهواز والعراق الري تحت حكم بني بويه وخراسان وماوراء النهر للسامانيين وجميعهم يخطبون للخليفة العباسي وكان الخليفة الطائع لله قد زوج ابنته إلى عضد الدولة بن بويه ثم خلفه القادر بالله عام ٩٩١ م واستمرت

خلافته قرابة ٤٠ عاما وكان متدينا كثير التهجد ولما جاء عهد المطيع لله عام ٩٤٦ م زاد نفوذ الفاطميين جدا وكان هناك ثلاث عواصم للخلافة قرطبة وبغداد والقاهرة وأقواهم القاهرة وأضعفهم بغداد وقدم المطيع لله أموالا واقطاعات واسعة للجنود وأمرائهم حتى زاد الغلاء والكساد وفشي الجوع واكل البغداديون لحوم القطط والكلاب وكانوا يأكلون الشوك وأصيبوا بالأمراض الشديدة ومات عدد كبير منهم إلى ان تنحي وخلفه الطائع لله. وزاد الصراعات بين السنة والشيعة من جانب وبين الديلم والاتراك من جانب وكان المسلمون كرهوا حكم الإسماعيليين والزيدية وأفكارهم الشيعة التي يريدون فرضها على أهل السنة.

السلاجقة قاجامو

واستمرت الفوضى حتى عام ١٠٥٥ عندما أرسل الخليفة القائم بأمر الله إلى طغرل بك السلجوقي أن يدخل بغداد ويخلصه من البويهيين، والسلاجقة قبائل من الغز التركمان وكانوا من أهل السنة وحكموا مساحات واسعة من الدولة الإسلامية وأحسنوا للخلفاء العباسيين ومن أهم خلفائه ألب أرسلان الذي بدأ يقلص نفوذ الفاطميين. وبدأ الاستقرار في عهدهم وتوسعت الدولة حتى وصلت إلى الأناضول وسوريا وامتد ملك القائم بأمر الله لمدة ٤٥ عاما إلا أن الحملات الصليبية بدأت في عام ١٠٩٨ م قد ساهمت في الإسراع بزوال دولتهم ومع التزايدات الداخلية للسلاجقة ظهر نور الدين زنكي السلجوقي الذي ثبت ملك الخليفة فاستعاد الخلفاء السلطة عام ١١٣٦ واستطاع المقتفي لأمر الله أن يستقل ببغداد وسقطت الدولة الفاطمية وعلي نجم الدولة الأيوبية وطهر صلاح الدين الشام من رجس الصليبيين عام ١١٨٧ حتى عام ١٢٥٨ بعد دخول هولاكو سلطان المغول ببغداد وتدميرها وكتبها والمدرسة المستنصرية بعد أن عصف ببلاد فارس وخراسان بعد خيانة الوزير الشيعي الرافضي ابن العلقمي الذي سرح الجنود وقلل عددهم واضعف الجيش وتخابر مع المغول حتى سقط الخليفة المستعصم بالله وتم نقل مقر الخلافة إلى القاهرة في حماية سلاطين المماليك الذين انتصروا على التتار في عين جالوت عام ١٢٦٠ وظلت الخلافة في القاهرة حتى عام ١٥١٧ ولم يمض الا نصف قرن من خراب ببغداد إلا ودخل أعداد كبيرة من المغول في الإسلام ونشروه في غالبية أرجاء قارة آسيا .

الفرق والمذاهب الإسلامية

أخبر النبي صلى الله عليه وآله أنه ستفترق أمتي على بضع وسبعين شعبة أو فرقة كلها في النار إلا واحدة فسأله الصحابة ما هي صفات الفرقة الناجية قال ما أنا عليه وأصحابي ويقول الله في القرآن (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني) وأخبر أيضاً أن الإسلام سيعود غريبا كما بدأ أي يقل عدد المسلمين بعد أن يهونوا في الأمم إلى غير ذلك. وانقسم المسلمون بعد النبي إلى فرق متنوعة ولكن الغالبية الكاسحة من المسلمين هم أهل السنة والجماعة يمثلون بين ٨٠% إلى ٨٥% من أعداد المسلمين الآن وأكبر الطوائف الباقية هم الشيعة حوالي ١٥% من المسلمين والدروز والإباضية وطوائف أخرى صغيرة تلحق بهم . فأهل السنة مصطلح له مدلولان سياسي وديني فالمصطلح السياسي هو كل من ارتضي بالخلفاء الأربعة الأوائل بترتيبهم التاريخي اما الديني وهو اعم واشمل واصح فالسنة هم من امنوا بالله ربا وحده لا شريك له وهو علي كل شيء قدير له الصفات الكمال والجلال والجمال . وتحقيق الالهية والربوبية ويقسم الإيمان على ٣ مستويات الإسلام والإيمان والإحسان . الإسلام لعامة المسلمين وله ٥ أركان الشهادتين والصلاة والصيام والزكاة والحج الإيمان للخواص واركانه هي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والقدر خيره وشره أما الإحسان فهو لخواص الخواص وهو أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك . والسبيل إلى الترقى بين تلك الدرجات هو التقوي لقوله تعالى (إذا ما اتقوا وامنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وامنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين) وترتكز عقيدة المسلم على ٣ أشياء اساسية هي التوحيد والرسالة والبعث والحساب بعد الموت في يوم القيامة . يعتقد أهل السنة والجماعة ان القرآن ثابت غير قابل للتحريف محفوظ بحفظ الله وان جميع البشر والمخلوقات يموتون الا الله وانه سيحاسبهم على أعمالهم وان الملائكة من خلق الله وانه لا ينازع الله في ملكه احد وانه متره عن اي نقص وانه واحد احد متفرد بالعبادة وتبدير الكون والامور وانه عالم الغيب . وان أفضل البشر هم الأنبياء وأفضلهم محمد صلى الله عليه وآله ومن بعده ال بيته وزوجاته ومن بعدهم الصحابة وكلهم ثقات عدول لا يجوز الطعن فيهم أو تكذيبهم

للحديث (اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم) وعلي راسهم الخلفاء الأربعة الراشدين والعشرة المبشرين بالجنة فانهم من نقل الحديث والسنة بأنواعها الثلاثة الفعلية والقبولية والتقريرية وبالتالي التشكيك في احدهم يعد طعنا في ثوابت الدين فمصادر العلم الديني هي القرآن ثم السنة الصحيحة ثم الإجماع وهو الاجتهاد البشري الذي يحقق درجة الاتفاق العام بين آراء العلماء ثم القياس وهو مرحلة الاجتهاد الثانية وهي درجة اقل من الاتفاق وهي درجة خاصة بظروف كل بلد وكل زمن حسب رأي المفتي وباب الاجتهاد مفتوح طالما امتلك الأدوات الشرعية اللازمة من فهم للغة وللنصوص الدينية ولدرجات الأدلة ولمناسبات نزول الآيات إلى اخره من علوم الدين كالعقيدة والتوحيد والفقه والسيرة . ولأهل السنة مذاهب فقهية معتبرة إنما بقي منها ٤ مذاهب لابي حنيفة ومالك والشافعي وابن حنبل وهي اكثر ما ياخذ بها المسلمون في معاملاتهم وسلوكياتهم ولأهل السنة كتب معتبرة في الحديث والسيرة والتفسير وفي كل باب من أبواب العلم الديني ويتناولها العلماء بالشرح والتفسير والتفصيل والتنقيح جيلا بعد جيل كمراجع علمية يطلق عليها أمهات الكتب واهم كتب العقيدة هي العقيدة الطحاوية واهم المدارس العلمية السنية منذ القدم في الإسلام الأزهر الشريف في مصر ومساجد القرويين والزيتونة في المغرب والأموي والاقصي في الشام وكانت بغداد أهم المدن العلمية في تاريخ الإسلام . وأهل السنة فرق ومذاهب فكرية أو فلسفية مثل الصوفية والأشعرية والماتريدية وأهل الحديث وهم يتفقون مضمونا ويختلفون في الفروع مع ثبات الاصل وهناك فرق سنية من الناحية التاريخية أو السياسية ولكنها من الناحية العقائدية يختلفون عن الفرق السنية السابقة مثل المعتزلة والجريرة والقدرية والمجسمة والمشبهة والمعطلة والجهمية والخوارج والحلولية إلى غير ذلك من فرق لا وجود حالي لهم . لكن غالبية أهل السنة يتفقون على مسائل أساسية منها إثبات أسماء وصفات وأفعال الله التي أثبتتها لنفسه ووردت في الكتاب والسنة الصحيحة عملا بثلاث قواعد من القرآن هي (ليس كمثله شئ)(لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار) (لم يكن له كفوا احد) ومن السنة (لا تتفكروا في ذات الله ولكن تفكروا في عظمته -الاءه ونعمه -في روايات أخرى) ومن مما وصلنا عن العلماء الإيمان بالصفات واجب والصفات ثابتة ومعلومة والكيفية مجهولة بدون تكييف أو تاويل أو تعطيل أو تشبيه أو تجسيم والسؤال عن الكيفية بدعة فالله لا يحكم عليه .بمكان أو زمان .ومن مثل

تلك الأبواب التي أثبتتها الله في منهج أهل السنة إثبات رؤية الله في الآخرة لقوله (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة). وان كلام الله غير مخلوق فالكلام صفة لله وصفات الله أزلية مثله فالقرآن كلام الله غير مخلوق وان الله تعالى مستو على عرشه لقوله (الرحمن على العرش استوي)، وهو ليس كاستواء المخلوقين وكذلك سائر صفات الله لا يشبه فيها المخلوقين وكل صفة نقص بشرية هي كمال لله (ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) (يخادعون الله) فهو متره عن النقص وله تعالى وجهها (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) وله عين (انك بأعيننا) (ولتصنع على عيني) وسمع وبصر (اني معكما اسمع واري) وله ثبوت صفات القدرة والإرادة والعلم وتقدير أعمال العباد ومن رحمة الله الشفاعة والإخراج من النار بعفوه ورحمته وان للنبي حوضا في الآخرة يسقي منه المؤمنين وان للقبر عذاب ونعيم فهو أول مراحل الآخرة. والصفات التي لله فهمها أهل السنة بمعنيها المادي والمعنوي فمثلا عين الله هي الجارحة وهي الرعاية أيضًا ويد الله هي الجارحة والنعمة أيضًا وبعض الفرق توسعت في الصفات وتصنيفها وأبرزها الحياة.

أما الشيعة بشكل عام فهم الذين حصروا الخلافة في الإمام على وأبنائه من بعده واهم طوائفهم الاثناعشرية الذين يعتقدون بالنص بالخلافة لاثني عشر اماما وهي عندهم ركن الدين الاعظم وبعد موت النبي انقسموا إلى ثلاث اقسام الشيعة الغالية وهم من غالي في الإمام على فرفعه لمراتب فوق مرتبة البشرية وهم خمس عشر فرقة وهم البيانية وأصحاب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ذي الجناحين ورأوا فيه الإمامة والحربية اصحاب عبد الله بن عمرو بن حرب والمغيرية وهم اتباع المغيرة بن سعيد والمنصورية وهم اتباع ابي منصور وهو رجل من بني عجل والخطابية وهم اتباع ابي الخطاب بن ابي زينب وهم خمس فرق وهم الإمام يعبد ومنهم المعمرية أو العمومية الذين يروي ان معمر هو الإمام ومعهم البزيعية وهم اتباع بزيع بن موسى ويرون جعفر بن محمد الها والعميرية وهم اتباع عمير بن بيان العجلي ويزعمون أنهم لا يموتون ومعهم المفضلية وزعيمهم كان صيرفيا ويرون جعفر بن محمد الها مثل باقي الخطابية والفرقة الحادية عشر يزعمون ان روح القدس هو الله وانه يحل في الائمة ويؤمنون بالتناسخ ومنهم من يسب النبي لانه سرق الرسالة وان عليا هو الله واصحاب الشريعي يزعمون ان الله حل في ٥ اشخاص وهم النبي

واصحاب الكساء الأربعة وهم يشبهون النمرية اتباع النمرية الذين يعتقدون ان الله حل فيه والفرقة الأخيرة من يرون ان الله فوض الامور إلى النبي وانه الاقدر على تصرفها والقسم الثاني من الشيعة بعد الغالية هم الروافض وهم الاكثر شيوعا وهم المعروفون حاليا وقد رفضوا إمامة الخلفاء الثلاثة الاوائل وان الصحابة ضلوا عندما بايعوا الصديق وان الإمامة اختيار الهي بالنص أو الوحي للنبي أو الإمام من بعده وابطلوا جميع الاجتهاد في الأحكام ويرون الإمام أفضل الناس وأعلمهم ويدعون بالإمامية لقولهم بامامة علي بن ابي طالب وهم ٢٤ فرقة أولهم القطعية وهم الفرقة الغالبة والاكثر عددا المسماة الآن اثنا عشرية لقطعهم بموت موسي بن جعفر بن محمد بن علي ويزعمون ان النبي نص بالإمامة لعلي وان علي نص بالإمامة للحسن والحسن نص على إمامة الحسين ومن بعده علي زين العابدين السجاد بن الحسين ومن بعده محمد الباقر ومن بعده جعفر الصادق ومن بعده موسي الكاظم حتى الحسن العسكري ومن بعده محمد بن الحسن الحجة وهو المهدي المنتظر ليملأ الأرض عدلا بعدما ملئت جورا وظلما والفرقة الثانية هي الكيسانية وهم إحدى عشر فرقة ظهرت لأن المختار بن عبيد الله الثقفي خرج مطالبا بدم الحسين ودعا إلى محمد بن الحنفية كان يقال له كيسان والفرقة الاولى من الكيسانية يرون بامامة محمد بن الحنفية لأن الإمام علي اعطاه راية في البصرة ومن يرون ان محمد بن الحنفية رابع الائمة بعد ابيه واخويه الحسن والحسين والكربية اتباع ابي كرب الضرير يزعمون ان بن الحنفية حي بجبال رضوي عن يمينه اسد ويساره نمر وانه هو المهدي وان الاسد والنمر يحميانه ويأتيانه بالطعام كل يوم مرة صباحا ومرة ليلا وهناك من يرون أن بن الحنفية منفي أو محتجز في جبال رضوي عقوبة له من الله لبيعه عبد الملك بن مروان والفرقة السابعة من الكيسانية يرون ان الإمام بعد ابي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية ابن اخيه الحسن بن محمد بن الحنفية وان الحسن أوصي لابنه علي ومات علي ولم يوصي من بعده فهم هائمون تائهون لا امام لهم وينتظرون عودة محمد بن الحنفية ومعهم من يرون الإمامة بعد ابي هاشم محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وزعموا ان النبي نص على إمامة العباس بن عبد المطلب وافترق عنهم اكثر من فرقة منهم الراوندية الذين ساقوا الإمامة إلى ابي جعفر المنصور و الفرقة التاسعة من الكيسانية هم الحربية اتباع عبد الله بن عمرو بن حرب وافترقوا فيه على فرق ثلاث وهناك البانية اتباع بيان بن سمعان التميمي وهناك من زعم

ان الإمامة بعد ابي هاشم إلى علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب والفرقة الثالثة عشر من الرافضة هم المفيزية اتباع المغيرة بن سعيد ويرون ان ابا جعفر اوصي إلى المغيرة والفرقة الرابعة عشر ويرون الإمام بعد علي بن الحسين هو أبو جعفر محمد بن علي وهناك فرق أخرى نسوق الإمامة من علي حتى ابي جعفر وافترقوا بعد ذلك على الإمام من بعده والفرقة السابعة عشر يرون الإمام إسماعيل بن جعفر بن محمد وهم الإسماعيلية والثامنة عشر هم القرامطة ويرون الإمام بن إسماعيل بن جعفر ومعهم العمارية والزرارية أو التميمية والواقفة والقائلون بإمامة موسى بن جعفر وهم الموسائية. اما القسم الثالث من الشيعة فهم الزيدية وهم اتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب. وكان زيد يفضل الإمام على أكثر من سائر الصحابة ولكنه لا يلعن ابا بكر وعمر ويتولاهما والزيدية ٦ فرق الجارودية اصحاب ابي جارود والسليمانية اتباع سليمان بن جرير الزيدي ويرون الإمامة شوري ويشتون خلافة ابي بكر وعمر. والبترية أصحاب الحسن بن صالح وإسماعيل كثير النواء أو الابتر ويرون ان علي افضل الخلق بعد النبي وان خلافة الشيخين ليست خطأ لأن الإمام على تركها لهما. والنعمية اتباع نعيم بن اليمان ومعهم يعقوبية. وعقائد الشيعة تتنوع ويتفقون مع أهل السنة في اشياء ويختلفون في اشياء ولكن تبقي الولاية لآل البيت هي الاساس ولهم احكام انفردوا بها مثل التقية وهي تورية أو كذب على الآخرين حتى لا يقع عليهم قهر أو ظلم وزواج المتعة وعقيدة البداء وهي ان الله يصحح فعلاً أو حكماً لم يكتبه عنده ويخرجون الزكاة خمس اموالهم منها سهماً للإمام ياخذها المراجع الآن ويقولون بالغيبة للإمام وبعضهم يقول بالحلول والاتحاد وبعضهم بعصمة الإمام وبولايته التكوينية والتشريعية وبعضهم يري الائمة مخلوقين من نور ويؤمنون بالشعائر الحسينية من لطم وتطبير ومواكب عزاء.

ومن الفرق الضالة عن الفكر الصحيح والفهم السليم لنصوص الدين واحكامه هم الجهمية اتباع الجهم بن صفوان. والذي تفرد به جهم قوله بفناء الجنة والنار وحصر الإيمان بالله على معرفته فقط دون العبادات والاحكام والعقائد والفرائض وان الكفر بالله هو الجهل به فقط وانه لا فعل في الحقيقة الا لله وحده وانه هو الفاعل وان نسب افعال الناس إليهم هو على سبيل المجاز وان القول تحركت الشجرة ودار الفلك وزالت الشمس وإنما فعل ذلك بالشجرة فهي مفعول به أو مبني للمجهول لأن الفاعل معلوم وهو الله

فالفاعل بالشدرة والفلك والشمس هو الله إلا أنه خلق للإنسان قوة كان بها الفعل وخلق له إرادة للفعل واختيارا له منفردا بذلك للإنسان كما خلق له طولا فكان به طويلا ولونا فكان به متلونا وكان جهم ينتحل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فلا يقرهما ولا يعترف بهما ومن أقواله: لا أقول أن الله سبحانه وتعالى شيء لأن ذلك تشبيه له بالأشياء وكان يقول ان علم الله محدث فيما يحكي عنه ويقول بخلق القرآن وانه لا يقال ان الله لم يزل عالما بالأشياء قبل ان تكون. ولكن قبل ذلك ظهر في الفكر الفلسفي والتراث الإسلامي طائفة القدرية وهم الذين يعتقدون ان الإنسان صانع افعاله وخالقها خيرها وشرها ولا دخل لقدرة الله فيها ومن مؤسسي هذا الفكر معبد الجهني الذي قال (لا قدر) اي أنكر وجود قدر الله الذي كتبه في عباد مما يطل صفات كثيرة من صفاته ومن بعده غيلان الدمشقي وكرد فعل للقدرية ظهرت الجبرية وهي تشبه الجهمية كثيرا وذلك لقولهم إن أفعال الإنسان خيرها وشرها مصدرها الله أي نفوا أي اختيار للإنسان، أي أن الإنسان كالريشة في مهب الريح، وهذا خطأ وقصور في فهم العقيدة السليمة، ونشأ عن هذا التضاد بينهما سؤال أبدي هل الإنسان مخير أم مسير؟ والجواب عند أهل السنة والجماعة أن الإنسان مخير في حدود مشيئة الله وهو ما يعرف بمبدأ الكسب الذي وضعه الأشعري فيما بعد لينهي هذه المحنة فهم لم يفهموا أن علم الله أزلي وأنه يعلم ما سيكون وأن الله قال (وهديناه النجدين)، وفي الحديث (إن الله خلق الحسنات والسيئات) وذلك لأن بني أمية بنوا مذهب الجبرية لتبرير استبدادهم ومذابجهم، وكان التيار المضاد لهم القدرية وتم إعدام غيلان الدمشقي على يد خلفاء بني أمية وقال عنهم الصحابي ابن عمر لما سئل عنهم (قائلا اذا رأيت هؤلاء فاخبرهم إني برئ منهم)، ومسألة القدر فهمها الصحابة بسهولة ويسر لانه من اركان الإيمان وقال عمر بن الخطاب (نفر من قدر الله إلى قدر الله) وقد علمهم النبي الا يتجادلوا في القدر بالذات لأن الفلسفة والجدال ليست من العلوم التي يتقنها العقل العربي ولكن لما فتحت الأمم المسلمة الجديدة ظهرت المتكلمون وأهل المنطق ولهذا قال النبي في الحديث مخاطبا اصحابه وقد احمر وجه غضبا من جدالهم في القدر (أهكذا أمرتم أم بهذا أرسلت إليكم إنما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر عزمتم عليكم الا تنازعوا فيه)، وفي مرة كان يخطب عمر قائلا (من يضل الله فلا هادي له) فرد أحد المبتدعين: إن الله لا يضل أحدا، فرد عمر (كذبت لقد خلقك الله إن

الله خلق الخلق وقال حين خلق آدم نثر ذريته في يده - يقصد عالم الذر- وكتب أهل الجنة وما هم عاملون وكتب أهل النار وما هم عاملون ثم قال هؤلاء لهذه وهؤلاء لهذه فتفرق الناس وما يختلف في القدر اثنان).

أحدث المعتزلة عند ظهور مذهبهم نشاط في الحالة الفكرية والثقافية الإسلامية وقادوا حركة التغيير والنهضة الفكرية الإسلامية والتي مهدت في العصر العباسي لتقدم مهول نتيجة حرية الفكر والتعبير ولكنها لما تجاوزت العقل وحدوده الطبيعية العلمية والفكرية إلى ما وراء ذلك من غيبيات وما يتصل بها من نصوص دينية ضلوا وأضلوا وحدثت فتنا أضعفت الدولة الإسلامية ومكنت العناصر الغير عربية من زعزعة الحكم وبعد هزيمتهم أمام أحمد بن حنبل في محنة خلق القرآن جنوا وظلموا بل انهوا تماما اي مشروع عقلي فكري إسلامي ليفسح المجال لمدرسة النقل متفوقا على العقل بكثير في اغلب الأحيان ومنهيا العقل والرأي تماما في غالب الأحيان والعصور بعدها .وزعيمهم واصل بن عطاء تلميذ الحسن البصري فلما اعتزل حلقته قال اعتزلنا واصل وفكر المعتزلة يركز على نقطة أساسية محورية وهي تزيه الخالق عن اي تشبيه أو تجسيم وهي رد على تيارات الضلال المنتشرة من ايام بني أمية وهم المجسمة والمشبهة.ويري المعتزلة ان الله واحد لا شريك له ولا شبيه وليس بجسم ولا شبح ولا جثة ولا صورة ولا لحم ولا دم ولا شخص ولا جوهر ولا عرض ولا بذي لون ولا رائحة ولا بحسة ولا عمق ولا اجتماع ولا افتراق ولا يتحرك ولا يسكن ولا يتبعض وليس بذي ابعاض ولا اجزاء وجوارح واعضاء ولا جهات ولا يمين ولا شمال ولا فوق ولا تحت ولا يحيط به مكان ولا يجري عليه زمان ولا تجوز عليه المماسة ولا الحلول ولا يوصف بشيء من صفات الخلق الدالة على الحدوث ولا تحيط به الأقدار ولا تحجبه الأستار ولا تدركه الحواس ولا يقاس بالناس فلا يشبه الخلق بوجه من الوجوه فهو اولا متقدما للمحدثات موجودا قبل كل المخلوقات وقالوا ان الله في كل مكان فهو مدبر لكل مكان وتديره في كل مكان وبعضهم قال هو في لا مكان بل هو على ما لم يزل عليه فأنكروا صفة الاستواء متاولين (الرحمن على العرش استوي) بان معناها قهر واستولي ويقولون ان القرآن مخلوق واجمعوا انه لا يري بالأبصار وان ما ورد في القرآن عن الجوارح كالعين واليد والوجه معناها مجازي فاليد هي

النعمة والعين هي الرعاية وأهم يرون الله بقلوبهم واجمعوا ان الله لم يزل عالما قادرا حيا وانه لا يتزل ولا ينجى ولا ياتي فمعني التزل هو اجابة الدعاء ومعني الاتيان هو الأمر كالعذاب وقال بعضهم ان الصفات لا هي الموصوف ولا غيره وقال بعضهم ان صفات الله قديمة ازلية . بالغ البعض من تيار النسك والزهد والتصوف في الفكر والفلسفة فضلوا ضلالا بعيدا عن مقاصد الدين ووسطيته وهم تيار الحلولية القائلين ان الله يحل في مخلوقاته وهي نظرية الحلول والاتحاد فعندهم يحل الله في مخلوقاته فيتحذوا فيصير الخالق والمخلوق وحدة واحدة فكانوا يقولون اذا استحسنوا شيئا لعله ربنا ومهم من قال انه يري الله على قدر عمله فمن كان عمله أحسن رأي الله أحسن ومنهم من يري أن الله له هيئة وصورة كالإنسان وله حواس وجوارح وابعاض ولحم ودم ومنهم من يري ان الله قد يلمس أو قد يحس في صورة المخلوق وقال ابي شعيب ان الله يسر ويفرح لعبادة وطاعة اوليائه ويعتم ويحزن اذا عصوه وقد بالغ بعضهم ان العبادة تبلغ بهم منزلة تزول عنهم العبادات والفرائض فتكون المحظورات على غيرهم فاستحلوا لانفسهم المحرمات ومهم من يزعم ان العبادة ترقى به لدرجة ان يروا الله ويأكلوا من ثمار الجنة ويعانقوا الحور العين في الدنيا ويحاربوا الشياطين ومنهم من يري ان العبادة تبلغ بهم مرتبة تفوق الملائكة والأنبياء بمعني ان الله هو الخالق وهو المخلوق أيضا وفي نفس الوقت . فكل مخلوق هو صورة للاصل واصل الخلق هو الله فجميع المخلوقات ما هي الا صور متفرقة اذا اجتمعت كانت ذات الله وهذا اعتقاد خطير وفساد وباطل لانه أبطل الأديان والجنة والنار والتكاليف والعبادات وحصر الإيمان والكفر في قضية واحدة الوحدة والكثرة فمن رأي الله في الوحدة فهو مؤمن ومن شغلته الكثرة فهو كافر وقد يري العبد ان الله بداخله أو ذاته في ذات الله ولكن فهم أهل السنة الواضح يطيح بهذه الادعاءات الباطلة فمثلا بتحليل مفاهيم الاتحاد والحلول والوحدة نري ان الحلول -في مفهوم السنة- هو وسط بين الاتحاد والوحدة فمثلا الاتحاد هو امتزاج شيئين أو اكثر في وحدة واحدة كاملة متصلة الاجزاء وهو في الجنس مجانسة وفي الشبه مشاهمة وفي الكم مساواة وفي الاضافة مناسبة وفي جميع المعاني موازاة أو مطابقة وهي كلها مفاهيم لا تجوز في حق الله وهي اعتقادات هندية باطلة تسربت لعقائد المسلمين اما جهلا أو بقصد تدمير المسلمين وهدم الإسلام وهي تعني فناء الإنسان في الله أو ارتقائه إلى الحضرة الالهية والحلول فهو التزول مثلا في مكان معين أو

الوجود وله معان كثيرة أخرى قد تكون حلول الله في حيوان أو صنم أو أي مخلوق أو موجود أو التناسخ أو كالمسيحية بحلول الله في الإنسان فيكونا وحدة واحدة فتكون الإشارة لأحدهما هي نفس الإشارة للآخر والوحدة يقصد بها إما وحدة الوجود الفلسفية وهي باطلة أو وحدة الشهود الصوفية وهي اعتقاد إسلامي أصيل لا يفهمه إلا أهل السنة العالمين بالله وأسماءه وصفاته الثابتة في كتابه وسنة نبيه فالفرق بين وحدة الوجود ووحدة الشهود ففلاسفة اليونان يرون الخالق والمخلوق شيء واحد لا فرق بينهما فلا صفات لله أي أن الكون كله هو ذات الله أما فلاسفة المسلمين فيرون كل العالم دليل على وجود الله وصفاته وأن ذاته محجوب عنا لأنه الظاهر والباطن (الظاهر صفاته والباطن ذاته) فالفرق كبير جدا ويرى أهل السنة أيضًا أن الحقيقة الوحيدة في الكون هي الله وأن ما عداه غير حقيقي وأن المتأمل في الخلق لا يجد إلا الله فالكون كأنه مرآة ضخمة تعكس نور الله لنرى في الدنيا صفاته ابتلاء واختبارا حتى نصل للحقيقة في الآخرة ونراه ذاتا. وهذا يوضحه دليلان تجلي الله سبحانه وتعالى للجبل بإزالة الحجب فانهار الجبل ولم يره موسي عليه السلام ولكنه سيراه في الآخرة وفي القصيدة للشاعر المسلم (ألا كل شيء ما خلا الله باطل) ويؤكد هذا المعنى أن معرفتنا بالله تفوق علمنا به لأننا لم نره ولكننا رأينا أدلته وعظمته وكل صفاته متجلية في الكون ويوضح القرآن اختلاف رؤيا الله في الدنيا وهي بالقلب وفي الآخرة وهي بالعين (كلا لو تعلمون علم اليقين) المقصود منها الإيمان بالقلب وهي في الدنيا (لترونها عين اليقين) رؤيا بالعين في الآخرة وما ينطبق على الجنة والنار والنعيم والعذاب سيحدث مع الله سبحانه وتعالى وقال (للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة وزيادة) وهي رؤيا الله في الآخرة وهي أعلى مرتبة من النعيم في الجنة ومفهوم المسلمين يوضح أهمية التوحيد كأساس سليم للعقيدة قد نضل بدونه عقيدة قائمة على تزييه رب العالمين (العالمين كل ما دون الله). ودخلت على الإسلام عقائد فاسدة مشتقة من عقائد باطلة وثنية كالحشاشين أو الباطنية أو ما يعرف اليوم بالمذهب الإسماعيلي ومثلهم العبيدين أتباع عبيد الله بن ميمون القداح أو الفاطميين، وهي دعوة قائمة على الكتمان والسرية والتخفي وهو أخطر تنظيم سري ماسوني في الإسلام أسسه الحسن بن الصباح في إيران وقاموا على الاغتيالات وكانوا يكذبون على الناس ويخدعونهم مدعين الإسلام امام الناس ويؤمنون بعقيدة خفية في السر لا تباعهم وهي أن للكون الهان واحد للخير والثاني للشر

وكانوا يعطون اتباعهم المخدرات والحشيش ليقتلوا وهم في غير وعي ويعدون اتباعهم بالجنة ويجلسونهم في الحدائق والبساتين ويمرون الجوار والغواني بالغناء لهم وامتاعهم فيظنون أنفسهم في الجنة مع الحور العين وللحسن بن الصباح نشأة شيعية اثنا عشرية ثم صار إسماعيليا واسس مذهباً سمي بالترارية منشقا عن المذهب الإسماعيلي الفاطمي في مصر وكان الدهاء والتقية والغدر والخيانة طريقهم ومسلكهم فقد يعملون عند السلطان أو الوزير أو المسئول فيتجسسوا عليه ثم يقتلوه أو ينقضوا عليه أو يستغلوه لأغراضهم وكانوا يطلقون على من يقوم بالاغتيالات السرية أو الانتحاري لفظ فدائي وقتلوا وحاولوا قتل جميع رموز الدولة الإسلامية وقتهم وكانوا يستغلون المناطق النائية التي يكثر فيها ضعف الدين ويشيع فيها التذمر لجمع الأنصار والمؤيدين وكان يرسل الدعاة إلى القرى ليستولي عليها بالحيل الدعائية والشائعات أو بالمجازر والقتل حتى استولي هولاكو على عاصمتهم وأنهى بيبرس وجودهم في الشام وكان يصد خطر بدعتهم أبو حامد الغزالي وسلاطين السلاجقة.

الخوارج

الخوارج من أضل فرق المسلمين وأخطرهم وتاريخهم ملئ بالتخريب والقتل والتكفير وهم أكثر الفرق تعصبا وقتالا ودموية ويرون الحق معهم وحدهم دون الآخرين. وسميت الخوارج بهذا الاسم لخروجهم على الإمام على وكانوا من شيعته ومؤيديه وقد ظهروا في نهايات خلافة عثمان ودعوا للخروج عليه وقد خرجوا عليه وقتلوه وقد حاول الإمام على تقويمهم عقائديا وسلوكيا حتى قتلوا عبد الله بن خباب فطالب الإمام على بقتله ليقم عليهم الحد فأبوا فقاتلهم في معركة النهراوان وانهي شوكتهم. وبعد رفضهم للتحكيم بايعوا عبد الله بن وهب الراسبي وأجمعت الخوارج على تكفير على بن أبي طالب وهم مختلفون في شركه لأنهم يكفرون بالكبيرة وأن الله يعذب مرتكبها عذابا دائما إلا طائفة منهم تسمي النجدات وشعارهم (إن الحكم إلا لله) أو المصحف يحوطه سيفان وقد قدموا العقل على النقل فردوا السنة الصحيحة. وأول من أحدث الخلاف بينهم نافع بن الأزرق والذي أحدثه البراءة من القعدة والحنة لمن قصد عسكره وتكفير من لم يهاجر إليه والأزارقة لا تتبرأ ممن تقدمتها من سلفها من الخوارج في توليهم القعدة الذين لا يخرجون ولا تتبرأ أيضا من سلفها من الخوارج في تركهم اكفار القعدة والحنة لمن هاجر إليهم وكل كبيرة كفر وان دار مخالفهم دار كفر ومرتكب الكبيرة مخذل في النار ويكفرون الإمام على ومعاوية وأبا موسى الأشعري وعمرو بن العاص لوقوعهم في التحكيم ويرون قتل الأطفال فكل مؤيد لفكرهم لابد ان يخرج على الحاكم في بلده أو ينضم لبلدهم. وكانت الازارقة كانت عقدت لقطري بن الفجاءة وكان اذا خرج استخلف رجلا من بني تميم ومن زعمائهم عمرو القنا وعبيدة بن هلال وعبد ربه الصغير وعبد ربه الكبير. فأما التوحيد فقول الخوارج فيه كقول المعتزلة وجميعهم يقول بخلق القرآن ويرون الخروج بالسيف على الولاة وينكرون وصف الظلم لله تعالى ويرون إمامة أبي بكر وعمر وينكرون إمامة عثمان ويرون الإمامة في قريش اذا كان القائم مستحقا لها ولا يرون إمامة الجائر وتري النجدات وهم أتباع نجدة بن عامر إنهم لا يحتاجون امام وان عليهم تحكيم كتاب الله فيما بينهم والعمل به. واختلفت الخوارج في اجتهاد الراي فمنهم من يجيز الاجتهاد في الاحكام كالنجدات ومنهم من لا يجيزه وياخذ بظاهر القرآن كالأزارقة وفريق منهم لا يرون على

الناس فرضا حتى يأتيهم نبي لقوله تعالى (وما كنا معذيين حتى نبعث رسولا). ولا يقولون بعذاب القبر واختلفوا هل الله يرزق عباده الحرام ام لا فمنهم من ايد ذلك ومنهم انكره. ومن القاهم الحرورية نسبة لبلدة حروراء التي بداوا فيها طائفتهم والمارقة لما ورد في الحديث (يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية). ويرون بالثورات ويطلقون على أنفسهم جماعة المؤمنين أو الجماعة المؤمنة فقم يختصون أنفسهم وانصارهم وحدهم بالإيمان ويشترطون الصلاح والتقوي للوالي ولا يرون حرجا في ولاية المرأة ويرون وجوب الخروج على الوالي الظالم أو الفاسق اذا بلغ ويقولون بالتقية ويقولون بحد الشراء اي ان اشتروا الجنة بانفسهم مقابل الخروج على الحاكم الظالم اما اذا كان عددهم قليل فيعملون بالتقية حتى تحين فرصة الخروج والانقضاء على الحكم وجعلوا المر بالمعروف والنهي عن المنكر اساسا متينا ورابطة للخروج من عدمه ويلقبون زعيمهم بامير المؤمنين ووردت فيهم احاديث كثيرة منها انهم سيخرجون من العراق (يخرج منه قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم) أي لا يفهمون شيئا مع كثرة قراءتهم وعبادتهم فهم يقومون بعبادات وتكاليف شرعية كثيرة تفوق المسلمين العاديين ومع ذلك لا يستجيب الله لهم. ورجل من بني تميم يدعي ذي الخويصرة قال للنبي اعدل يا محمد فرد النبي وفي رواية أبي سعيد الخدري رضي الله عنه انه سمع هذا الحديث وقاتل الخوارج مع الإمام على وغالبيتهم وزعمائهم من بني تميم. وفي روايات أخرى (الخوارج كلاب النار شر قتلي تحت اديم السماء خير قتلي من قتلوه) (طوي لمن قتلهم وقتلوه). وفي رواية ان عبد الله بن اوفي رضي الله عنه قابل سعيد بن جهمان وساله عن والده فرد قتلته الازارقة فرد عبد الله (لعن الله الازارقة لعن الله الازارقة) فساله سعيد اكل الخوارج فرد نعم كلهم. وعلمه عبد الله نهج الصحابة وأهل السنة (عليك بالسواد الاعظم فان كان السلطان يسمع منك فائته في بيته واخبره بما تعلم -من النصح والدعوة- فان قبل منك والا فدعه فلست باعلم منه) أي انك تبغضه فان لم يستجب فان الله لن يوقفه ويستبدله. واختلفت الخوارج وانقسموا إلى فرق واهمها النجدات والعطوية اتباع عطية بن الاسود والفديكية اتباع ابي فديك الذي قتل نجدة. ومن العطوية اتباع عبد الكريم بن عجرد وهم العجاردة واختلف معهم رجل من بلخ يسمى ميمون واسس الخوارج الميمونية وهم يرون بالقدر كالمعتزلة وظهرت فرقة من الخوارج تسمى الاباضية نسبة إلى عبد الله بن اباض التيمي وكان فقيهم هو جابر بن

زيد الزهراني ويسمون بالقعدية لانهم قعدوا عن قتال المسلمين والخروج على الحكم والولاية مثل الازارقة فهم ليسوا من الغلاة ولا المتطرفين ويطلقون على أنفسهم جماعة الدعوة أو جماعة الحق والاستقامة ويرون بحرية الإنسان فالاختيار على قدر الكسب فهي قدرة نسبية على الفعل والقدرة المطلقة لله وحده وان الله لا يعذب الا على المقدور والاستطاعة ويختلفون عن الخوارج ان مرتكب الكبيرة كافر نعمة لا كافر ملة .ومن الطوائف المخربة القرامطة المنشقون عن الدولة الفاطمية قامت ثورة اجتماعية دينية تحمل طابع اشتراكي واتبعهم بنو هلال وسليم ومعقل وفرازة واشجع وعاشوا في مصر وسيطروا على شمال أفريقيا فيما يعرف بالتغريبة الهلالية وتنسب الحركة إلى قرمط وهو حمدان بن الاشعث من عربستان وقد هاجموا الكعبة وقتلوا ٣٠ الف حاج وسبوا أهل مكة وخلعوا باب الكعبة وسلبوا كسوتها وسرقوا الحجر الأسود وعادوا به إلى البحرين لمدة ٢٢ سنة حتى عاد الحجر الأسود إلى مكة .

السنة والشيعة

الخلاف بين السنة والشيعة كبير ولكن هناك ٥ مناطق أساسية لهذا الخلاف يختلط فيها العلم بالدجل والأسطورة ويكثر فيها الدس والكذب من الطرفين أو من غير المسلمين واعداء الإسلام عبر أربعة عشر قرنا هذه النقاط الخمس هي مسائل تاريخية لها جوانب دينية مترتبة عليها وفي اوقات الفتن يكثر الحديث عنها ويتم التركيز عليها وهي حادثة الإفك و ردة الصحابة وارض فذك وحادثة كسر ضلع الزهراء سلام الله عليها والشيخان الخليفة الأول والثاني ومن بعدهم

١-حادثة الإفك : المتهمة بالإفك كانت السيدة عائشة زوج النبي ومن الشائع عند المتشددين أو الجهلة من أهل الشيعة يسبون عائشة ويتهمونها بالزني وهو قول متطرفي الشيعة والمعلوم ان الشيعة لا يحبون عائشة ولا يضعونها في مكانتها اللائقة كزوجة للنبي وكزعيمة للمجتمع النسائي المسلم وكقدوة وهذا غير وظيفتها العلمية الرائدة في رواية الحديث على كل حال فالثابت من كتاب الله انها طاهرة وان من ينكر ذلك ويسبها ويتهمها فهو كافر مخلد في النار لإنكاره نصا صريحا في القرآن وجحود القرآن لا يعني الا الكفر وهذه مسالة يشهد بها الجميع بانها طاهرة شريفة عفيفة ولكن ما لا يعلمه اغلب أهل السنة أن مأخذ الشيعة أو اعتراضاتهم على السيدة عائشة ليست هذه المسالة ولكن اعتراضاتهم مسائل أخرى سياسية وتاريخية .وباستعراض آراء طائفة واسعة من العلماء والاتجاهات الشيعية القديمة والحديثة اجمعوا على ذلك فمثلا العلامة السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي كتب عن السيدة عائشة انها انقي جيبا واطهر ثوبا واعلي نفسا واعلي عرضا وامنع صوتا وارفع جنبا واعز خدرا واسمي مقاما من ان يجوز عليها غير التزاهة وان يمكن في حقها الا العفة والصيانة ويرى الشيخ محمد طه النجفي بوجود نزاهة الأنبياء عن اقل غائبة ولزوم طهارة اعراضهم عن ادني وصمة وهذا من كمال العصمة فلا يجوز عليها الا ما يجوز على زوجات الأنبياء والاوصياء وقال السيد الشريف المرتضي علم الهدى ان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يجب عقلا ان يتزهوا عن مثل هذه الحال لانها تعر وتشين وتغض من القدر وعلي ذلك اجماع مفسري الشيعة ومتكلميهم وسائر علمائهم

.والسيد محمد حسين الطباطبائي في تفسيره لسورة النور بان طهارة نساء النبي ثابتة بالدليل العقلي والقول بشك النبي صلى الله عليه وآله باهله غير صحيح ويقول بأنه وجب الحد على القائل بذلك وعبد الله بن أبي بن سلول راس النفاق حده حدين وعقوبته مضاعفة لانه من قذف السيدة عائشة وان نزل القرآن يوبخ المؤمنين على اساءتهم الظن وعدم رده ما سمعوه من الإفك فمن لوازم الإيمان حسن الظن بالمؤمنين والنبي احق من يتصف بذلك ويتحرز من سوء الظن الذي من الاثم وله مقام النبوة والعصمة الالهية وذكر مثل ذلك عديد العلماء ومنهم آيات الله العظمي السادة الشيخ لطف الله صافي الكلبايكاني والسيد محمد صادق الروحاني والشيخ جعفر سبحاني .ورغم ذلك يتصدر تيار السب والشتم واللعن الشيخ ياسر الحبيب (الخبث)، وكتابه عائشة الوجه الآخر للفاحشة ويسب الصحابة ومعه من المشاهير الشيخ (المقبور) حسن شحاتة المصري الذي مات مسحولا بعد الثورة المصرية ومقطعه الشهير عندما رد بعض المسلمين عليه بأن الله قدر أن الخليفتين الأول والثاني يدفنان إلى جوار النبي وأن الله لايسوء نبيه ولا يكتب عليه ما يكره فينتفض حسن شحاتة قائلا (شوف عملت إيه بنت الكلب) مخالفا نص القرآن وما اجتمع عليه المسلمون عليه من الله ما يستحق، وينكر الدفاع عن عثمان ذي النورين وهو صهر النبي مرتين ومبشر بالجنة. وفي نفس اتجاه الفتنة تائر الدراجي وحتى على الكوراني دخل منظومة السب والذم وغيرهم من الجهال المتعصبين اتباع الشيطان مع العلم ان المراجع لا تقول بذلك فالسيد حسن نصر الله في مقطعه الشهير عن ياسر الحبيب ان شخصا شيعي غير معروف عند الشيعة أساسا القي خطابا في لندن اساء فيه لأم المؤمنين السيدة عائشة وبعض صحابة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ورضوان الله عليهم وأورد رد المرشد الاعلي لإيران على خامنئي فتوي قائلا يحرم النيل من رموز اخواننا السنة فضلا عن اتهام زوج النبي صلى الله عليه وآله بما يخل بشرفها بل هذا الأمر ممتنع عن نساء الأنبياء.وهذا ما سار عليه غالبية مراجع الشيعة وحتى من يدافعون عن ياسر الحبيب من امثال أحمد ومجتي الشيرازي فقد رد عليهم متبرا من مواقفهم المرجع السيد صادق الشيرازي في احد رسائله المنشورة وشدد على البعد عن الخطاب الصدامي والبعد عن جنون فتنة التواصل الاجتماعي وله رأي قديم حتى قبل ظهور الحبيب والدراجي وغيرهم وهو أن يسب بعض المسلمين بعضاً لأجل بعض المسائل الخلافية أو يكفر بعضهم بعضاً من أجل حكم غير

إجماعي فذاك هو الذي يدعو إلى تشتت المسلمين وشق عصاهم وضرب الوحدة الإسلامية العظمى وأكد على براءة الشيعة من تلك التهمة حتى علماء السنة ومنهم الالوسي. ولكن هذا لا ينفي أفعال المجرمين ضد ام المؤمنين فحتى ذهاب الشيعة إلى برائتها من الفاحشة فان لهما قهما عندهم كثيرة جدا تتراوح بين المعتدل والمقتصد والجاهل والمتشدد والرافضي والزنديق والكافر وممكن تلخيص موقف غالبية الشيعة منها انتقاد أفعالها من الخروج من بيتها بعد قوله تعالى (وقرن في بيوتكن) وركوبها الجمل رغم انه تم تحذيرها مسبقا ومجيئها إلى البصرة تقود جيشا عرمرما تطالب على زعمها فيه بدم عثمان وهي التي امالت حربيه والبت عليه وقالت فيه ما قالت ولومها على افعالها في البصرة يوم الجمل الاصغر مع عثمان بن حنيف وحكيم بن جبلة واستنكار اعمالها يوم الجمل مع الإمام على ويوم البغل وقصة الناصبي مروان من رفضه لدفن الإمام الحسن بجوار جده النبي وفي سائر افعالها مع ال البيت.

وأجمعت كتب السنة على ندمها الشديد وتوبتها من هذا الذنب وبكائها الشديد كل يوم ليقبل الله توبتها فهي الصديقة بنت الصديق حبيبة رسول الله . وكانت لديها فرصة الدفن بجوار النبي وايها وعمر ولكنها أحبت البقاء مع اخواتها زوجات النبي فدفنت مثلهن بالبقيع الشريف الطاهر . ومعلوم عند أهل السنة انه لم يكن خلاف بين عائشة وفاطمة ويشهد بذلك حديث ان النبي همس لابنته الزهراء في اذنها فبكت ثم ضحكت إلى آخر القصة المعروفة وطلبت عائشة منها ان تخبرها بحديث النبي فابت ولكن بعد موته قالت الزهراء لعائشة الآن أحدثك والحقيقة التاريخية في المجتمع العربي القديم من العلاقة الطيبة بين زوجة الرجل وابنته وان رجلا مثل النبي بصفاته وذكائه وفكره وشخصيته لم يكن يدع اي خلاف بين ابنته وزوجته في حياتهم البسيطة دنيويا العظيمة دينيا . وحكاية يوم البغل عن منعها دفن الحسن المجتبي في بيتها قد ضعفها كثير من علمائهم وذكر المجلسي في مرآة العقول انها احاديث ضعيفة . ومات الامام الحسن عام ٥٠ هجرياً أي أن عمر عائشة كان قارب سبعين سنة فلا يعقل أن تترك بغل وتقوم بلك الحادثة المكذوبة.

٢-ردة الصحابة : القول بردة الصحابة بل ولعنهم مسألة خطيرة لا يمكن للسنة أن

يقبلوها، فهم نقلة الدين وهم المبلغون عن النبي ورضا الله عنهم ثابت في القرآن والسنة

وفي دعاء الشيعة عند عاشوراء (اللهم العن الأول والثاني والثالث والرابع - معاوية - اللهم العن يزيد خامسا) فتقافة لعن الخلفاء الراشدين في محافل كثيرة وحتى انتقلت لتشمل بني أمية كلهم ولم تنتقل لبني العباس مع العلم ان بني العباس فاقوا في ظلمهم واضطهادهم لال البيت بني أمية لقصر مدة خلافتهم وكونها مليئة بالثورات فقتل العباسيين ٦ أئمة والامويين ٣ فقط وقال احد الشعراء (تالله ما فعلت بنو أمية فيهم ... معشار ما فعلت بنو العباس) وقال أبو العطاء أفلح بن يسار السندي (يا ليت جور بني مروان دام لنا ... وليت عدل بني العباس في النار)، ويفسر ذلك بعض المؤرخين هو كون العباسيين هاشميين مع أنه ليس كل هاشمي محمديا إلا أنه يمكن تفهم لعن يزيد المجرم لقتله الحسين في عهده، أما بالنسبة للأربعة الأوائل فإن الشيعة يرون أنهم خالفوا وصايا النبي واغتصبوا الخلافة وأفسدوا في النظام الإداري والمالي للدولة. ولكن طبقا لحديث الغدير الصحيح والثابت عند المسلمين جميعا فان الولاية لا تعني ابدا الخلافة عند أهل السنة وإنما تعني المتزلة الدينية. أما السبب الثاني وهو الفساد فلم يعرف به الأول والثاني فلم يتول أي من أقاربهما أي منصب ولكن نتجته الاتهامات بشدة إلى عثمان ومعاوية في مسألة تولي الأقارب، وهذا ثابت تاريخيا بالاتفاق ولكن بلغ العدد ٨ من أصل ٤٧ والياً أي لا يبلغ الربع فهذه الادعاءات تحمل ضد عثمان رضي الله عنه مبالغة كبيرة. وكل هذه لا يمكن ان يكون سببا مقنعا أو دينيا للعنهم وسبهم فقد يكونوا اخطاوا في تاويل نص قرآني او حديث كما ان ما قدموه كثير وعظيم كفتوحات ونشر للدعوي فهذه ازدواجية وعدم وضوح للرؤية ومسالة اللعن تفتت شمل المسلمين وتجعل مظلومية أهل البيت تجارة في ايدي السياسيين على اختلاف عصورهم استغلوها دينيا لاغراضهم الخاصة. ومن هنا فان معني الارتداد الذي جاء في آية (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسول افان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم) فسرته الشيعة على تفسيرين وهو ردة الصحابة إلا رهط منهم فلم يتفقوا في العدد البعض قال ٣ وآخرون ٧ أو ٩ والباقي صاروا كفارا. ومفسرون آخرون لا يرون كفر الصحابة وإنما الردة بمعنى الضلال فهي ردة عن الحق بولاية ابي بكر وعدم ولاية الإمام على إما رأي غالبيتهم فهو أن الصحابة لم يكفروا بعد النبي وان منهم الثقات العدول ولكن ليس كلهم فمنهم المحسن والمسيء بعكس أهل السنة الذين يرونهم كلهم محسنين صالحين.

٣-أرض فدك: مسألة تاريخية كثر فيها الحديث فهي قطعة أرض قرب المدينة أهداها النبي لابنته الزهراء في حياته وكان غنمها من الفتوحات وبعد موته طالبت الزهراء بميراثها من الخليفة ابي بكر الصديق إلا أنه رفض محتجا بحديث صحيح عند السنة ويرفضه الشيعة (نحن معشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة). واختلفت الروايات بين السنة والشيعة عن خلاف بين الخليفة والسيدة الزهراء وفيها ما قد يكون أسطورة ومنها الموضوعي المنطقي ومنها ما هو ظاهر انه موضوع ومنها ما هو صحيح وحسن إلا أنه في النهاية اتخذها غلاة الشيعة ذريعة للخوض في الخلاف وفي عدالتهم والمسألة ليست إلا خلاف مدني قانوني بين حاكم الدولة ومواطنة مهما علا قدرها وهذا يؤكد على ان دولة الإسلام مدنية بامتياز قائمة على القانون والعدالة بغض النظر عند الاعتبار الأخرى وهو ما أسسه النبي في حديث الحد (وإيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها) وبالعقل والمنطق فان الزهراء سلام الله عليها ليست ممن يبحثون عن الدنيا فهي التي عاشت في فقر وعنت تفعل كل شيء بنفسها لزوجها بلا خادم وعرف عنها التقوى والزهد والورع الذي ورثه أبناء وأحفادها وكذلك عندما تولى الإمام على الخلافة لم يضم فدك إلى أملاكه أو إلى الميراث الخاص بالعائلة.

٤-كسر ضلع الزهراء : أكثر ما يشعل الفتنة بين المسلمين هو ما يمس مقدساتهم وليس أكرم وأعلى وأعلى وأفضل من حرمة آل البيت فلا مساس بهم فتلك المسألة انقسم حولها المسلمون بين غالبية كبيرة تنكرها وأقلية تقرها.

لكن من أراد إشعال فتنة دينية لاغراض سياسية كالخروج على الحاكم وغير ذلك بهدف الوصول للحكم أو لأهداف شعوبية ضد سلطة العرب على المسلمين فاتخذت الدين ستارا والمذهبية والطائفية سلاحا فالصوت الشيعي العقلاني الموضوعي لا يقول بكسر الضلع ابدا والمتشدد المغالي يثبتها وينادي بها .ومن اقوال ابرز علماء الشيعة في هذه المسألة التسجيل الشهير لسماحة السيد محمد حسين فضل الله قدس الله سره ومن اهم ما فيه من تكذيب للرواية المغلوطة كيف يعقل ان رجل فارس مغوار أشجع العرب وأفضلهم في فنون القتال وبمروءة وشهامة على بن ابي طالب ان يترك امراته للناس يؤذونها ويضربونها ويكسرون ضلعها الشريف وهو جالس في نفس البيت يقول لا حول ولا قوة الا بالله

والاغرب من ذلك انه ليس من عادة العرب ان المرأة هي التي تفتح الباب للغرباء وموجود في البيت بعض اقاربهم وكل هؤلاء الرجال لا يفعلون شيئاً ويتركون الناس يقتحمون البيت والسيدة هي التي تتصدي لهم وهو بيت ليس بيت عادي هو بيت رجل له ثقل في الأمة رجل ليس سفيها هو بيت العزة والكرامة والبطولة فلا يتجرا احد على مهاجمة بيت على ابن ابي طالب فارس الفرسان واصلا السيدة الزهراء لم يكن يراها الرجال ولا تكلم الأغراب فكيف السيدة تفتح الباب هذه المرة فقط وباقي حياتها لا تفتح والجارية موجودة وعلي الرواية المدسوسة ان الناس جاءوا يريدون الإمام على وليس السيدة الزهراء فهذا ليس الا اتهام صريح للإمام على -حاشاه وحاشا أولياء الله -بزعمهم انه جبان أو ديوث لا يغار على عرض رسول الله وان أقاربه من آل البيت ضعفاء وان المعتدين كفار اي ان المسلمين جميعهم في هذا الموقف يستحقون الخلود في النار .ومحمد حسين فضل الله لم ينكر عليه من العلماء المعتبرين عند الشيعة احد بل اثني عليه كثيرون منهم اية الله حسين على منتظري و جعفر سبحاني وسماحته الوكيل العام للعلامة المرجع أبي القاسم الخوئي فهذا قد يكون رأي المرجعية ولكنه اعلن بشكل غير مباشر ففي سؤال للسيد الخوئي قال انها مشهورة ولم يعقب على صحتها أو ضعفها وان فهم من سياق الحدفتوي انه لا يميل إلى تلك الرواية وليس سماحة محمد حسين فضل الله وحده الذي قال بذلك فغيره كثير من متقدمي الشيعة ومتأخريهم نفوا الواقعة تماما فاية الله السيد كمال الحيدري نفى الواقعة وأيضاً ذكر من شان الراوي ومصدر الواقعة كتاب سليم بن قيس الهلالي انه ليس بثقة ومدسوس على سليم بن قيس وما اخذ عنه ومنه قصة كسر ضلع الزهراء كذب وافتراء حيث ذكر الشيخ المفيد في كتاب تصحيح الاعتقاد واما ما تعلق به أبو جعفر الصدوق من حديث سليم الذي رجع فيه إلى الكتاب المضاف اليه برواية ابان بن أبي عياش (موجودة في الكافي) فالمعني فيه صحيح غير ان هذا الكتاب غير موثوق به ولا يجوز العمل على أكثره وقد حصل فيه تخطيط وتدليس فينبغي للمتدين ان يتجنب العمل بكل ما ورد فيه.وقال نفس الراي المرجع السابق السيد أبو القاسم الخوئي .ومثل ذلك المرجع محمد حسين ال كاشف الغطاء الذي لم يقتنع ابدا بهذه الرواية واعتبر كتاب سليم بن قيس مكذوبا ومدسوسا فرغم رايه الواضح في ذم الخلفاء إلا أنه قال قضية ضرب الزهراء ولطم خدها مما لا يكاد يتقبله وجداني ويقبله عقلي و يقتنع به مشاعري لأن

العربي اذا ضرب امرأة يتي عارا في أحفاده وأنسابه .وان الصحابة والمهاجرين والأنصار كانوا سيمنعون بالمرصاد اي اذي ضد ابنة النبي فضلا عن زوجها الذي يخاف منه كل العرب والدليل على كذب تلك الرواية ان الزهراء لم تحمل بولد اسمه محسن ادعوا كذبا انه سقط أثناء الواقعة المكذوبة فالشيخ المفيد لم يذكر عندما ذكر ابناء الإمام على لم يذكر محسنا هذا واكثر من ذلك ما أورده محمد حسين ال كاشف الغطاء أيضًا ان ما زاده يقينا ان الزهراء سلام الله عليها لم تورث في مقالاتها ولا خطبها اي واقعة عن ذلك ولا في حديثها لنساء الصحابة والتسليم بصحة هذه الواقعة ينسف أساسا شيعة وهو ان للائمة حماية ربانية وكذلك قول الإمام الكاظم سلام الله عليه عن الزهراء انها صديقة شهيدة. وقال بنفس الراي علماء شيعة اخرون ومنهم عبد الحسين شرف الدين واية الله حسين المؤيد والسيد محمد الحسيني والسيد نجيب نور الدين الذي اورد آراء كبار العلماء المنكرين للرواية وهم المحقق الكركي القاضي التستري والحر العاملي والعلامة المجلسي وابو الحسن الفتوي والشيخ جعفر كاشف الغطاء والسيد عبد الله شبر والسيد محمد قلي الموسوي واية الله محمد حسن المظفر والشهيد محمد باقر الصدر ومن المعارضين للرواية أيضًا المحقق جعفر البحراني والميرزا محسن الفضلي والسيد محسن الامين والمحقق هاشم معروف الحسيني. وحتى السيد مرتضي جعفر العاملي احد مؤيدي رواية كسر الضلع فان غالبية الروايات التي اوردها في كتابه مأساة الزهراء لم يحققها او يقطع بصحتها وإنما اتى بالمشهور من الروايات وهو ليس دليل على الصحة.

٥-الشيخان : في كتب الشيعة روايات اللعن والتكفير وروايات الثناء والدعاء بالبركة والرحمة بحقهما إلا أنه بتحكيم العقل وبموضوعية فالنبي لا يصاهر منافقين ولا أنجاس والله لا يقضي بشيء يسوء نبيه بدفنهما لجواره وانتشار الإسلام وجمع الكلمة والفتوحات والتقوي والعمل للإسلام منتشر في الأمة وقتها بإجماع المسلمين وموقعه المميز في الشوري مقربا من عمر وعينه قاضيا للمدينة وقوله (أعوذ بالله من مسالة ليس لها ابا الحسن) فهو الرجل الثالث في الدولة بعد عمر والعباس عم النبي وكان قبله مستشارا لأبي بكر و صلات النسب والمصاهرة بين العائلات دلائل ثابتة لا يمكن تجاهلها والأرجح ان هذا اللعن جاء لظروف سياسية سابقة في عصور الاضطهاد فلا حاجة له الآن.

علماء المسلمين

في هذه الأوقات العصيبة في تاريخ الإسلام من وقت وفاة عمر ثم فتنة عثمان رضي الله عنهما حتى ولاية الإمام على وبنيه ومعاركهم مع بني أمية كان يفقد المسلمون أنوار النبوة. مات الصحابة واحداً تلو الآخر لكنهم ورثوا العلم لتلاميذهم وهم التابعين وسيد التابعين هو الحسن البصري ولد الحسن البصري رضي الله عنه وسط الصحابة وحضر فتنة مقتل عثمان وهو ابن أربعة عشر سنة وكان أبوه مولى زيد بن ثابت الأنصاري الصحابي الجليل الذي له دور كبير في جمع القرآن وكتابة الوحي وأمه خيرة مولاة ام المؤمنين ام سلمة رضي الله عنها وإذا اشتغلت أمه بحاجة وكان لازال رضيعاً أرضعته ام المؤمنين عليها السلام فتشرب منها العلم وكانت امه وهو صغير تخرجه للصحابة فيدعون له ودعاه له عمر بن الخطاب (اللهم فقهه في الدين وحببه إلى الناس)، وقد نشأ بين الصحابة فاخذ عنهم العلم وقبله نور النبوة وذهب إلى البصرة وعاش بها وكان مفتيها إلى أن مات. وقيل عنه (كان أشبه الناس كالاماً بكلام الأنبياء وأقربهم هدياً من الصحابة)، وروي عنه (ان من عصي ربه فقد حاربه واني أدركت سبعين بدريا — أهل بدر — لو رأيتوهم قلتهم مجانين ولو رؤوا خياركم لقالوا ما لهؤلاء من خلاق ولو رؤوا شراركم لقالوا ما يؤمن هؤلاء بيوم الحساب) ومن مآثوراته (بئس الرفيقان الدينار والدرهم لا ينفعناك حتى يفارقناك) (علمت أن رزقي لا يأخذه غيري فاطمئن قلبي وعلمت ان عملي لا يقوم به غيري فاشتغلت به وحدي وعلمت ان الله مطلع على فاستحييت أن يراني عاصياً وعلمت أن الموت ينتظرني فأعددت الزاد للقاء ربي). وعندما ولاه عمر بن عبد العزيز القضاء لقبه بسيد التابعين وقال انس بن مالك عنه سلوا مولانا الحسن فانه سمع وسمعنا فحفظ ونسينا وأيضاً اني لا غبط أهل البصرة على محمد بن سيرين والحسن البصري وقال عنه قتادة ما جالست فقيها الا وكان فضل الحسن عليه الا سعيد بن المسيب فقد كان الحسن يساله في ما لم يعرف. وكان له دور سياسي رائد في ترسيخ مبدأ إسلامي مهم في النصيح لولاة الامور وعدم الخروج عليهم وان بيان أمر الحاكم للامة هو من واجب العلماء ولما تجبر الحجاج بن يوسف على أهل العراق تصدي له الحسن بمنهج أهل السنة فهجم عليه الحسن في دروسه العلمية فعلم الحجاج ونوي قتله وجهز لذلك فعلم الحسن ببصيرة المؤمن وباداره

فذهب اليه ودعا بدعاء إلى الله تعالى يا ولي نعمتي وملاذي عند كربتي يا منجي إبراهيم من النار فتحول الحجاج تماما واجلس الحسن واحسن اليه وأعطاه من الطيب والمسك ليطيب لحيته وأرسل معه خادما ليوصله وقال الحجاج يا ابا سعيد يا سيد العلماء .

ومن أهل العلم الذين كان لهم دور مؤثر في تعليم الناس الزهد والورع والأخلاق والتقوي الإمام العارف القدوة إبراهيم بن ادهم رضي الله عنه وله قصة شهيرة وإن كان لم يجمع عليها في كتب التاريخ حيث كان رجلا له خدم وحاشية ضخمة وكانت عائلته غنية جدا وفي يوم كان يركب فرسه وخرج للصيد فسمع صوتا من السماء يقول يا إبراهيم ما هذا العبث — المقصود اللهو والانصراف عن الطاعة — أفحسبتم إنما خلقناكم عبثا اتق الله عليكم بالزاد ليوم الفاقة فتزل عن دابته ورفض الدنيا وقد وثق القشيري رحمه الله في رسالته ومن اقواله المأثورة (من اراد التوبة فليخرج من المظالم وليدع مخالطة الناس والا لم ينل ما يريد) (ما صدق الله عبدا احب الشهرة) (الزهد فرض وهو الزهد في الحرام وزهد سلامة وهو السلامة وهو الزهد في الشبهات وزهد فضل وهو الزهد في الحلال) (اتخذ الله صاحبا ودع الناس جانبا) لما سئل لماذا ندعو الله ولا يستجاب لنا فقال :يا أهل البصرة قد ماتت قلوبكم بعشرة اشياء عرفتم الله ولم تؤدوا حقه ،قرأتم القرآن ولم تعملوا به،ادعيتم حب الرسول صلى الله عليه وآله وتركتم سنته ،ادعتم عداوة الشيطان وأطعتموه ،ادعيتم دخول الجنة ولم تعملوا لها ،ادعيتم النجاة من النار ورميتم فيها انفسكم ،قلتم الموت حق ولم تستعدوا له ،اشتغلتم بعيوب الناس ولم تنشغلوا بعيوبكم ،دفنتم الاموات ولم تعتبروا ،أكلتم نعمة الله ولم تشكروه عليها،وكانت له آراء إصلاحية اجتماعية فقد سئل عن ارتفاع أسعار اللحوم فقال (أرخصوه ولا تشتروه) وأيضاً (كل ملك لا يكون عادلا فهو واللص سواء وكل عالم لا يكون تقيا فهو والذئب سواء وكل من ذل بغير الله فهو والكلب سواء).وهناك روايات ذكرت أن الله أعطاه كرامة في مكة اذ تحرك له جبل أبي قبيس شهادة لولايته وإن الجبل اهتز تحت قدميه فركل الجبل فسكن .وقال عنه ابن تيمية انه من المستقيمين من السالكين على طريقة السلف وإتباع السنة.

وللمسلمين من أهل السنة والجماعة أربعة مذاهب فقهية وهم أربعة فقهاء علماء أفاضل ثقات أمناء آتاهم الله علما وحكمة بالغة وأراد بهم خيرا وهم أبو حنيفة النعمان من العراق وهو صاحب المذهب الأول والإمام الأعظم وتلقي العلم عن الصحابي انس بن مالك والإمام جعفر الصادق الذي قال عنه (لولا الستتان لهلك النعمان) وكان من التابعين وظهر في القرن الأولوايد ثورة الإمام زيد بن علي و يعتبر مؤسس مدرسة القياس وهي فتح باب الاجتهاد والراي في الفقه الإسلامي وبعده الإمام مالك بن انس في المدينة المنورة صاحب كتاب الموطأ أول كتاب في علم الحديث وامام دار الهجرة وكان يقول (كل قول يؤخذ منه ويرد الا صاحب هذا المقام فانه يؤخذ منه ولا يرد)، ويشير إلى قبر النبي في مسجده وكان تلميذه الإمام الشافعي وظهر في القرن الثاني وهو مؤسس علم أصول الفقه واشتهر بمصر وفيها اشتهر وبما دفن. وأخرهم أحمد بن حنبل في الدولة العباسية وتصدي لفتنة خلق القرآن وتفوق على المعتزلة.

جعفر الصادق

لا يمكن بأي حال من الأحوال دراسة الفقه الإسلامي بدون عماده الأساسي و ركيزته الثابتة وفرعه الرباني ونوره النبوي وهو الإمام جعفر الصادق عليه السلام وجعفر الصادق من قلائل الذين يأخذ عنهم السنة والشيعة على حد سواء ويعتبر نقطة مفصلية ومنعطفا تاريخيا في تاريخ الإسلام فعلمه وتراثه هو المصدر الأساسي والرئيسي في الفقه الإسلامي منذ ١٣٠٠ سنة فقد اخذ عنه أبو حنيفة صاحب أول مذهب فقهي سني وتلاميذ واتباع أبي حنيفة كثيرون وعند الشيعة اخذوا عنه غالب مذهبهم وفقههم فهو المؤسس الحقيقي للمذهب الذي حوله من مذهب سياسي إلى فقهي فمبدأ الإمامة لم يترسخ الا فيما اخذ عنه واغلب الاحكام الفقهية للشيعة أخذوها عنه والأعجب من ذلك ان المذهب الجعفري وهو من اقرب المذاهب الفقهية لاهل السنة اخذت منه دول كثيرة في التاريخ وحتى الآن احكامها ودساتيرها وقوانينها لما فيه من سعة وعلم وحكمة ومراعاة للواقع وموازنة بين الشريعة وبين امور الحياة .والإمام جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب سلام الله وامه بنت القاسم بن محمد بن ابي بكر الصديق وهو حفيد السيدة أسماء بنت ابي بكر فكان يقول ولدي أبو بكر الصديق مرتين ولما تنامي صيته وشهرته وخاف أبو جعفر المنصور العباسي على الملك ارسل لافضل علمائه وطلب منهم ٤٠ مسألة صعبة ليعرضها عليه ويعجز عن الرد فيها ودخل على الخليفة ومعه العلماء فسلوه فاجاب الاسئلة الاربعين كلها وكان يفصلها ان هذا رأي أهل المدينة وهذا رأي أهل العراق وان الصواب كذا وكذا وفصلها حتى قال أبو حنيفة (قد رويانا ان اعلم الناس اعلمهم باختلاف الناس) وعرف عنه غزارة العلم والفقه وحبّه لنصيحة الآخرين وإرشادهم وتوجيههم وكرمه الشديد وبيانه وحسن منطقه وكان كارها للفتنة والفوضى وسفك الدماء ولما سئل عن ابي وعمر قال : (تولهما وابرا من عدوهما فانهما كانا إمامي هدي وأبو بكر جدي لا نالتي شفاعة محمد يوم القيامة ان لم اتولهما وابرا من عدوهما)، وقد ناظر أهل البدع والمذاهب والإفكار الضالة وتفوق عليهم باكتساح لقوة حجته النقلية والعقلية وذلك مع الملحدين والمعتزلة وأهل الهند والزندقة .وتقدير وحب الشيعة

للإمام جعفر كبير وعميق فهو عند بعضهم معصوم وكل ما يقوله وحي من الله وإن السماوات والأرض تخضع له لانه مستجاب الدعاء ومفوض من الله في الكون. إلا انه توجد مشكلة تاريخية كبرى تعيقنا عن الوصول لتراثه كاملا بعد حرق مكتبة بغداد على يد التتار فأصبح التوثيق والتدقيق مشكلة كبيرة وتظهر أكثر في مراجع الشيعة لاضطهادهم وظلمهم واستعمالهم التقية فلا يمكن التسليم بصحة كل ما جاء عن الإمام الصادق .

العقيدة الطحاوية توحيد المسلمين

اجتمع أهل السنة والجماعة بمتقدميهم ومتأخريهم وبجميع اتجاهاتهم من أشاعرة وماتريدية ومتصوفة وأهل الحديث واتباع المذاهب الأربعة على كتاب العقيدة الطحاوية أو ما يسمى بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة لأبي جعفر الطحاوي رضي الله عنه وكان على المذهب الشافعي ثم انتقل إلى المذهب الحنفي وهو عالم وفقيه مصري كبير ومن القلائل الذي اجتمع عليه المسلمون بالذات في باب مهم كالاقتداء واثني عليه ابن يونس والذهبي وابن الجوزي وابن كثير والسيوطي وقد قام بشرح متن العقيدة الطحاوية المشايخ والعلماء جيلا بعد جيل وحصل فيه علماء المسلمين على الاف الاجازات وقدموا فيه شروحا كثيرة وذلك من علماء السلفية والأشعرية على حد سواء ومن اقواله رضي الله عنه (هذا ذكر بيان عقيدة أهل السنة والجماعة على مذهب فقهاء أهل الملة)، ويقول الشيخ تاج الدين السبكي رحمه الله (هذه المذاهب الأربعة والله الحمد والمنة في العقائد يد واحدة الا من لحق منها باهل الاعتزال والتجسيم والا فجمهورها على الحق يقرون عقيدة ابي جعفر الطحاوي التي تلقاها الناس سلفا وخلفا بالقبول ويدنون لله تعالى برأي شيخ السنة أبي الحسن الأشعري الذي لم يعارضه الا مبتدع).

إخوان الصفا وخلاص الوفا

لم تكن جهود العلماء فردية فقط وإنما كانت جماعية أيضاً وعرف المسلمون محاولات جادة لمزج الفلسفة بالشريعة وبالعلوم الدينية وكان اخوان الصفا وخلاص الوفا أول أخوية في تاريخ المسلمين وقد ظهوروا في القرن الثالث الهجري وبدا اخوان الصفا في البصرة على المذهب الإسماعيلي وكتبوا في الرياضيات والفلك ومؤلفهم ممتع للغاية ملئ بالعلم والحديث عن النجوم والابراج والكواكب والشمس والقمر والاعداد والزوايا والاشكال وعلوم الهندسة وحتى علوم الطاقة والتنبؤ في ربط لكل هذه العلوم بالفلسفة والمنطق وردها إلى اصلها وهي علوم الدين فيما يعرف الآن بالاعجاز العلمي للقران وتأثروا بالفلسفة اليونانية والفارسية والهندية وضعوا تصورا عن نشأة الكون وهو الأصل الالهي للكون فيبدأ من الله ثم العقل ثم النفس ثم المادة الاولى ثم الأجسام ثم الأفلاك والعناصر والمعادن والحيوان والنبات واستعملوا مبدا التقية لتحركهم متأثرين بالفكر الشيعي اذ كان يتم التضيق عليهم كفلاسفة وكإسماعيليين وكانوا يرون ان نفس الإنسان جزء من النفس الكلية التي بدورها سترجع إلى الله يوم المعاد ويرون ان الهدف المشترك بين الفلسفة والاديان ان تتشبه النفس بالله بقدر ما يستطيعه الإنسان. ومن آرائهم ان الإنسان الكامل هو العالم الخبير الفاضل، الذكي المستبصر، العربي الدين العبراني المخبر، المسيحي المنهج، الشامي النسك، اليوناني العلوم، الهندي البصيرة، الصوفي السيرة. مما احدث جدلا المهم إنهم حققوا معادلة صعبة في الفلسفة في وقت كان يتهم فيه الفيلسوف بالزندقة.

لب الدين وجوهه

لم يكن من المعقول أبداً أن ترأثاً ضخماً مثل الفكر الإسلامي الذي صاغ وبلور كل حضارات العالم القديم ليصنع حضارته وإنتاجه الفكري وجمعه لعلوم وفلسفات مصر واليونان والعراق والشام والهند وفارس ان يغيب عنه فكر التصوف وهو الفكر الذي ظهر مع الكتب السماوية والأنبياء فضلا عن الديانات الأرضية القديمة وكعادة اي شيء يدخل

عليه الإسلام فانه يصلحه ويحيله من فكر أو مذهب أرضي إلى منهج سماوي رباني والتصوف بشكل عام هو مفهوم فلسفي معقد يضع نظرة كونية للخالق والإنسان والمخلوقات وما وراء الطبيعة ولكن النظرة الإسلامية للتصوف وضعته في قالب ديني وصاغته بنصوص دينية وأصقلت التجربة الصوفية وأثرتما فأصبح التصوف الإسلامي مثل كل أنواع التصوف يسمو بالروح ولكنه يتميز بالمسحة الدينية العقائدية وليس بنحرد أو هام أو خرافات أو تصورات مثل البوذية والكنفوشية ووضع الإسلام أطرا للتصوف جعلها في العبادات والأخلاق والسلوكيات وربطها بالشكل العملي التطبيقي وليس مجرد الانعزال والتأمل في الطبيعة وبهذا صار التصوف هو المرتبة الثالثة من الدين الإسلام والإيمان والإحسان الذي هو ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وبهذا ارتبط التصوف بالمنهج العملي وبالجهاد بنوعيه جهاد الحرب والجهاد الأكبر هو جهاد النفس للطاعات وترك المعاصي.

الكبريت الأحمر

وإذا ذكر التصوف في الإسلام ذكر محي الدين بن عربي الحاتمي الطائي الأندلسي رحمه الله الملقب بالشيخ الأكبر وهو الشخصية الأكثر اثارة للجدل بين المسلمين ففي طوائفهم فمع أنه من المعروف ان الشيخ ابن عربي كان سنيا إلا أن بعض مراجع الشيعة صنفته من علمائهم وتأثر به كثير من علماء الشيعة فيما عرف بالمدرسة العرفانية القائمة على الكشف الباطني والتأمل الفلسفي ويرفض ابن عربي الذين لا يعطون اي فرصة لإعمال العقل من السنة والشيعة على حد سواء ويقول عنه الشيخ الأحسائي إنه مميت الدين وإنه العدو الأول للمدرسة المشيخية ويرفضه الشيعة لقول منسوب له أنهم في ذاتهم خنازير وكلاب ولقوله براءة السيدة عائشة وعصمتها ولقوله بعصمة عمر بن الخطاب وأنه لم يقتل الزهراء فهو ناصبي عند غلاة الشيعة وكثير من السلفيين يصفونه بالكفر والشرك والزندقة والفجور ولكن غالبية علماء المسلمين من أهل السنة تأثروا به وعلموا فضله وجهده وعلمه الغزير وما قدمه للمسلمين من مؤلفات تفيض حكمة ربانية وعلوم لدنية وأشعار ومدائح الهية تفيض بالتأمل والتفكير والمشكلة في فهم فلسفة ابن عربي ان خطابه

ليس للجميع من العوام وإنما لخواص الخواص فهو يحتاج لذوق وفهم وليس مجرد قراءة بالنظر ولكن لابد من استشعار كلماته بالحواس كلها وكذلك مشكلة أخرى كبيرة هي استعمال المصطلحات فالصوفية يستخدمون لغة الرموز فلا يفهم غير الصوفي المعني المقصود فهذا القصور اللغوي بين المتصوف وبين عامة الناس يحدث خللا في الفهم أو سوء فهم كما ان قدم الطبعات وقلة شروحها في وقتها مع تنقل العلماء وعدم استقرارهم في بلادهم وأحيانا التأليف بلغات غير العربية كلها تضر بالمضمون العام لهذه المؤلفات النفيسة عالية المقام وبالتأكيد وجود مغرضين أعداء للإسلام مستترين بستار الدين يتعمدون الاساءة إليه وهدمه من الداخل وتلويث عقائده ووجود الجهال والمتنفعين من وراء ذلك واصحاب العقائد الباطلة الهدامة كاهل الحلول والاتحاد ووحدة الوجود والجسمين والمشبهيين وساهم بشكل الكبير الصراعات السياسية في افساد صورة التصوف الزاهية النقية الصافية كما انزلها الله في القرآن وعلمها النبي للصحابة وسار عليها المسلمون الاوائل واليه تنسب الطريقة الاكبرية وتنقل ابن عربي بين الأندلس والمغرب والقاهرة والشام والحجاز والعراق ولقب بالكبريت الأحمر ويقول ابن عربي رحمه الله (من قال بالحلول فدينه معلول وما قال بالاتحاد إلا أهل الإلحاد) (الله تعالى واحد بالإجماع ومقام الواحد يتعالى ان يحل فيه شيء أو يحل هو في شيء أو يتحد في شيء). كان لابن عربي تصور ان الله عز وجل كاله عظيم كامل لا بد ان يرسل إنسانا كاملا (لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة)، وهذا الإنسان الكامل هو النبي محمد أو اي نبي في زمنه وأفضلهم محمد صلى الله عليه وآله ومما يدعي بعض الجهلة ان ابن عربي رحمه الله قال ان الولي افضل من النبي هو محض كذب أو جهل فان مقام النبوة هو اعلي درجات الولاية ويقول الله عن الخضر العبد الصالح (وعلمناه من لدنا علما). ويقول ابن عربي عن الله تعالى (اله واحد لا ثاني له والوهيته متره عن الصحابة والولد مالك لا شريك له ملك لا وزير له موجود بذاته من غير افتقار إلى موجد يوجده بل كل موجود سواه يفتقر اليه فالعالم كله موجود به وهو وحده متصف بالوجود لنفسه ليس بجوهر متحيز فيقدر له مكان ولا بعرض فيستحيل اليه البقاء ولا يجسم فتكون له الجهة والتلقاء مقدس عن الجهات والاقطار مرئي بالقلوب والأبصار - في الآخرة - اذا شاء استوي على عرشه كما قاله وعلي المعني الذي اراده وله الآخرة والاولي ليس له معقول وان دلت عليه العقول لا يحده زمان ولا يقله مكان وهو

على ما عليه كان وقال ان الواحد الحي ولا يرجع اليه صفة كم . تعالى ان تحده الحوادث أو يحلها أو تكون بعده أو يكون قبلها بل يقال كان ولا شيء معه فان الله قبل والبعد من صيغ الزمان الذي ابدعه فهو القيوم الذي لا ينام والقهار الذي لا يرام وليس كمثلته شيء)، ويعتقد أن الله تعالى صفات الخلق والعلم والارادة والسمع والكلام والترفيه والأمر . وتحدث باستفاضة عن الحكم من الاسراء والمعراج والقرآن وقصص الأنبياء في رائعته فصوص الحكم ومن قبله مؤلفه الكبير الفتوحات المكية . وكان للمسلمين علماء تخصصوا في الحديث وتصنيفه ودرجاته وسنده وعلوم الرجال والجرح والتعديل أو الكاذب والصادق وبرزهم البخاري ومسلم والنسائي والطبراني وابن حبان وابو داود وابن ماجة والبيهقي والحاكم .

حجة الإسلام

ومن القامات العالية في تاريخ المسلمين الإمام العلامة المنقذ من الضلالة أبو حامد محمد الغزالي الطوسي النيسابوري الصوفي الأشعري الشافعي وهو رحمه الله من الذين أتاهاهم الله عز وجل العلم والحكمة وهداهم لفهم القرآن والسنة والرد على المبتدعين ومخربي الدين مثل الفرق الباطنية والحشاشين أتباع الحسن بن الصباح ويعتد أبي حامد الغزالي من الرواد من علماء المسلمين الذين فهموا الفلسفة والمنطق وعلوم التصوف ونقحها واستخرج منها ما يتناسب مع الشريعة فلم يقع كغيره في البدع وكان فقيها مفسرا فهم طبيعة الدين وحقيقته وصفات الخالق وحكمه في الكون وأوصلها للمسلمين سهلة مبسطة بلا تعقيد أو خرافات وكذب على الله سبحانه وتعالى ولهذا يعتبر من ابرز علماء القرن الخامس الهجري ويعتبر احد مؤسسي المدرسة الأشعرية السنية في علم الكلام وهي القائمة على التوازن بين النص المقدس وبين العقل المهتدي بالوحي أو بين الفلسفة وبين الدين مما اتاح له معرفة واسعة من الجانب العقلي يغذيها بالجانب الروحاني فتقوي بالعمق وتثبتها لدي المسلم وكان مع الباقلاني والجويني رحمهما الله احد أضلاع هذه المدرسة واستغل الجانب العقلي والفكري في النصوص الدينية بشكل كبير ومتوسع ولهذا سمي حجة الإسلام . وله مؤلفات عن أسماء الله الحسني وصفاته مثل مشكاة الانوار وان كان أفضل ما قدم هو إحياء علوم الدين الكتاب الذي احدث ثورة التجديد في الفكر

الإسلامي بعد مرحلة من الجمود الفكري أصابت علماء الإسلامي واستغرقهم في مؤلفات القدماء وتقديمه للفلسفة وعلو التصوف في قوالب الفقه والشريعة جعلت منه رائد بلا أدنى شك واسس أفكاره على ربط الدين بالأخلاق والسلوكيات شأنه كشأن الصوفيين بدون الإغراق في تفاصيل مختلف عليها وقسم إحياء علوم الدين أربعة أقسام وهي العبادات مثل الصلاة و الصيام ، والعبادات والمهلكات كالغرور والتكبر والشهوات ، والمنجيات كالتوبة ومعرفة الله والندم والصبر والاستغفار والتأمل والتفكير . ومن ابرز مؤلفاته التي بلغت أكثر من ٢٥٠ مؤلف الاقتصاد في الاعتقاد ، بنية المريد في مسائل التوحيد ، الجام العوام عن علم الكوام ، المقصد الاسني في أسماء الله الحسني ، التفرقة بين الإسلام والزندقة ، فضائح الباطنية ، مقاصد الفلاسفة ، تحافت الفلاسفة ، معيار العلم في فن المنطق ، الوجيز في فقه الشافعي ، فتاوي الغزالي ، المستصفي في اصول الفقه ، روضة الطالبين وعمدة السالكين ، زاد الآخرة ، منهاج العابدين ، مكاشفة القلوب إلى حضرة علام الغيوب وكان ناظرا للمدرسة النظامية وهي جامعة في بغداد وقت العباسيين ومن أشهر تلامذته أبو حامد الجوزجاني وابو عبد الله المهدي وابو الفتح أحمد بن برهان وعبد القادر الجيلي وقد شرح إحياء علوم الدين فقهاء وعلماء كثيرون فهو بكل المقاييس مجدد القرن الخامس . وبالنسبة للشيعة وبخاصة الاخباريين والاصوليين هو ناصبي متشدد بحقهم لانه برفض اللعن ويحرمه ضد أي مسلم أو اي حاكم حتى لو كان فاجرا ظالما فإننا لا نكفر أهل القبلة وحسابهم عند الله ولم يكفر الغزالي الشيعة في كتبه وان كان منهم من تأثر به مثل الفيض الكاشاني.

لم تكن الاتجاهات الفلسفية في الإسلام هي اتجاهات أبي حامد الغزالي وحده وإنما كان هناك فلاسفة أثرت آراؤهم على الدين بشكل كبير، ويعد أبو النصر محمد الفارابي أحد أبرز فلاسفة ومفكري المسلمين بل والفلاسفة على مر التاريخ ويختلف عن اتجاهات الغزالي الفكرية الإسلامية بأن فلسفته غلبت على الجوانب الدينية والشرعية .الفارابي ليس من علماء الدين ولكن آرائه الفلسفية أثرت في عقيدة البعض بسبب رؤيته للكون واصله ونشأته مما انعكس على طبيعة الخالق وصفاته وعلاقة الإنسان بالكون. اطلق على الفارابي المعلم الثاني لتأثره بارسطو فقد قام بشرح مؤلفاته وهو من ادخل مفهوم الفراغ في علم الفيزياء كما برع في الطب ..وكان له معتقدات في الإيمان بالله منها وحدة الحقيقة لقوله

(واجب الوجود-يقصد الله عز وجل -عقل محض يعقل ذاته بذاته فهو عاقل ومعقول في آن واحد). ونظريته الخاصة بالوجود فقد قال: (فما الدار دار خلود لنا وما المرء على الأرض بمعجز) ويطلق عليها نظرية الصدور والفيض ويميز بين نوعين من الموجودات وهما الموجود الممكن الوجود، الموجود الواجب الوجود. والموجود ممكن الوجود لكي يوجد لا بد له من موجود واجب الوجود والموجود واجب الوجود لا يجب إلا أن يكون واحدا منفردا باحديته وصفات الخلق والارادة له وحده لانه لو كان اكثر من موجود واجب الوجود لكان هناك اكثر من كون واكثر من صورة لنفس الموجود الممكن الوجود وهو أمر غير قابل الحدوث والموجود واجب الوجود لا يجب إلا أن يوجد بذاته فهو موحد ذاته. بمعنى آخر اسهل ان الاشياء كلها تنقسم إلى اله خالق كل شيء آخر فالله هو وحده واجب الوجود وغيره ممكن الوجود فلا يتحقق المخلوق الا بالخالق ولا الرزق الا بالرازق. وخالف الفارابي غالبية المسلمين في اعتقاده في الله فهو يرى ان الله عقل (ليس بمعنى مخ وهو العضو العضلي وإنما بمعنى مدبر) محض واحد من كل الجهات وانه جوهر — علي خلاف أهل السنة — يعقل ذاته فقط و ان الله من تعقله لذاته يفيض عنه عقل أول ففعل التعقل عنده للضرورة وليس الإرادة والقصد أي أن العقل من لوازم الإله فهو صفة ذاتية فيه. ويصدر عقل آخر من تعقله يصدر عقل آخر وهكذا تتم عملية الخلق حيث من تبدا من الله حتى تنتهي بالمخلوق أو الموجود ممكن الوجود. وربط بين الفيلسوف والنبي في قوله أن (المعرفة لا تتم إلا بتجريد المعاني الكلية من المحسوسات) فالفيلسوف والنبي كلاهما يتلقي حقائق وينقلها للآخرين وإن معرفة الحقائق القصوى مصدرها الله ولكن الحقائق التي يتلقاها الفيلسوف تكون بالعقل الفعال فهي عقلية اما النبي فيحولها إلى حقائق حسية عن طريق الوحي المتزل اليه. وله كتب في السياسة وفي الموسيقى وأبرزها المدينة الفاضلة والموسيقى الكبير.

منصور الحلاج

إذا كان التصوف جزءاً مهماً في أي دين فانه جزء أساسي من الإسلام باعتباره الأكثر روحية ومر التصوف في الإسلام بمراحل كثيرة فهو ليس مجرد حالة من النسك والزهد أو مجرد فلسفة فالتصوف الإسلامي هو علوم الأخلاق وتزكية النفس والتقوي فهو مرتبط بعبادات وأذكار وأوراد وشعائر كالحج والعمرة والصيام والصلاة وكلها عبادات توصل الإنسان لحالات عالية من التصوف. ويظهر الحسين بن منصور الحلاج كمؤسس للتصوف الإسلامي في حالته الأولى قبل ان يطرأ عليه الطرائقية (يصبح طرقاً وشيخاً ومريد وحضرة) كتصوف خام في حالة العشق الإلهي والتأمل بعيداً عن الفلسفة وقواعدها العقلية واستنتاجاتها المعقدة. وكان الحلاج حالة فريدة من العشق الإلهي وترك الدنيا والانشغال بنور الله قطعاً عنده الجانب الروحي على كل شيء حتى على النواحي التعبدية والاعتقادية مما سبب له مشاكل كبيرة فلم يفهمه علماء عصره من التقليديين واتهم بالكفر والزندقة وصلب وحرق وكانت عنده مشكلة أكبر ان طريق العارفين من أهل الحقيقة يختلف عن طريق أهل الفقه فيتفوق عليهم بكثير فمثلاً العبادات مثل الصلاة أو الحج يراها أهل الفقه من ناحية الاداء الحركي المحكم وترتيبه واركانه للحديث (صلوا كما رايتموني اصلي) (خذوا عني مناسككم) أما أهل الحقيقة والطريق (فهي حقيقة العبادة والطريق إلى الله) فيهتمون بجانب الخشوع والروحانية ويهتمون بالحكمة من اداء العبادة وليس مجرد أدائها وان كان أداء تاماً محكماً وحتى في حالة التركيز الشديد وصفاء الذهن فانه ليس كاهل التصوف الذين يرون الامور من جوهرها وباطنها ولا يخدمهم الظاهر كغالبية الناس وكان الحلاج مثل راهب مصري قديم هرب من بطش الرومان أو كاهن بوذي هام في الجبال متاملاً فالحلاج كان كالصارخ في البرية تمزقه الام العشق الإلهي ولا تحتمل طبيعة جسده البشري تلقي النور السماوي والا ما كان الله منعها موسي عندما لم ير الله فالتجليات والمكاشفات وكشف الحجب للمخلوق هي متعة لا يعادلها متعة ورؤية قلبية لا يشعر بها الا صاحبها وهذه الحالة الروحية العالية كان المتصوفين الاوائل يضعونها في سياقها الشرعي مقتدين بالصحابة الذين بلغوا من المقام في الجانبين الشرعي والروحي نفس المستوى فهم انقي القلوب واطهرها واكثر الناس التزاماً بالشرعية

والاحكام . كان المتصوفة قبل الحلاج يستخدمون رموزا لمقاصدهم لسببين خوفهم من بطش الحكام وعلماء المؤسسات الغير قابلين للتجديد ومناقشة الفكر لأن ما يطرحه التصوف مسائل جديدة عليهم لا يفهمها الا خواص الخواص وأيضا لميل المتصوفة إلى السعي إلى ما وراء الاشياء ولكن فضل الحلاج وريادته كانت في قيامه بالتصريح والاعلان عن المضامين والفكر الصوفي بشكل علني وخطوه انه فعل ذلك لأن العوام لن يفهموها وظنوا انها كفر وزندقة والحاد . فالشعر الصوفي أو حتى المؤلفات كلها تحمل معان أخرى غير المتعارف عليها عند العامة وحتى علماء الشيعة كفروه ولعنوه وهو عندهم زنديق مما جعله شهيدا للكلمة كلمة اراد بها الحلاج وجه الله ولم يفهمها أهل زمانه واهدر عمره بسببها فقد اراد ان يخرج اللغة إلى افاق جديدة تستوعب المعاني التي يقصدها وربما كان أول متصوف يؤسس لقاموس أو معجم للمصطلحات والرموز الصوفية فعاد إلى اصل اللغة وهو القرآن كلام الله واللغة مكونة من حروف والقرآن ورد به حروف مقطعة مثل (ص و ق و الم وكهيعص و حم) فالف كتاب الطواسين يعني (طس) وسار المتصوفة بعده على ما وضعه من مصطلحات والفاظ ورموز . وعندما اراد ان يعلن مذهبه الفكري للعوام فخره بشدة أبو القاسم الجنيد رضي الله عنه (اية خشبة سوف تفسدها) كناية عن صلبه المتوقع فكان بمثابة التضحية الكبرى للصوفيين حتى يعيش المذهب والفكر حتى الآن وهو تجسيد للازمة التعبيرية التي عاشها المتصوفة منذ زمن البسطامي وكانت توجد في كتبهم وكلامهم صعوبة لغوية وتعقيدات واشتقاقات جديدة فكان لزاما هذه الثورة اللغوية التي احدثها الحلاج وقال الحلاج قبل اعدامه (ظهري حمي ودمي حرام وما يحل لكم ان تتاولوا على واعتقادي الإسلام ومذهبي السنة) ومن شعره مخاطبا المولي عز وجل : (انت بين الشغاف والقلب تجري مثل جري الدموع من اجفاني \ وتحل الضمير جوف فؤادي كحلول الأرواح في الابدان)، وله أيضا (مزجت روحك في روحي كما تمزج الخمرة بالماء الزلا) وفي قول آخر له يشرح الابيات (من ظن ان الالهية تمتزج بالبشرية فقد كفر) (وان معرفة الله هي توحيده وتوحيده تميزه عن خلقه وكل ما تصور في الاوهام فالله تعالى بخلافه كيف يحل به ما منه بدا)، وبذلك نسف الاعتقاد بالمزج والحلول وهي اعتقادات باطلة ألصقت به لعقود طويلة وإنما المقصد من المزج هو ان كل إنسان له مكونان لاهوتي نوراني وهي الروح وبشري ناسوتي المتعلق بالغرائز والرغبات وكلما تعلق

الإنسان بالله وترك المعاصي والشهوات قل المكون الناسوتي وزاد المكون النوراني فارتقي عن حيوانيته وغرائزه إلى انسانيته وملائكيته فكان عبدا ربانيا تري نور الله وهده فيه. وقام الحلاج بدور رائد في مجال آخر فكان تصوفه جهادا ضد الظلم فاكسب طابعا سياسيا وإصلاحا اجتماعيا. واهتم بالرموز فقال (من الحروف تتالف الأسماء التي هو الظهور الخاص لمعاني الاشياء) وقسم كتابه الطواسين إلى فصول مثل طاسين النقطة وطاسين الدائرة وطاسين السراج) وهو النبي محمد الذي اقتبس منه كل الأنبياء نورهم من نوره القديم الذي يتلأأ منذ كان ادم بين الطين والماء) ثم طاسين القرآن وقال : (كل ما يقع عليه بصر احد فهو دليل على تجلي الله سبحانه وتعالى من كل ما يشاهد وترائيه عن كل ما يعاين)، ومن كفره فسر التجلي بانه تجلي ذات (وحدة الوجود والحلول) والحلاج قصد تجلي الصفات (ظهور عظمة الله في خلقه)، ويدل على ذلك قوله (مارأيت شيئا الا رأيت الله فيه).

من الممكن تلخيص المشهد الفكري والتراثي الإسلامي من خلال وجهتي نظر كلاهما تدافع عن الإسلام من وجهة نظرهما هما مدرستا الفقه والتصوف في مشهد واحد عندما قال الحلاج : (ايها الناس اعلموا ان الله قد اباح لكم دمي فاقتلوني تقتلونني تؤجروا واسترح اقتلوني تكتبوا عند الله مجاهدين واكتب أنا شهيدا) فالحلاج لم يصلب ولم يقتل من فراغ وإنما كان وراء ذلك عقليات اصولية وعلماء اصوليين ارتبطوا مع اتجاه الحكم الرافض للتجديد الفكري لمنع اي تجديد سياسي قد يطرا عليه وظل هذا الفكر المحافظ الجامد المتشدد الرجعي أحيانا هو سمة أعاققت تقدم المسلمين وألجمت حرياتهم مما أسقطهم من ريادة العالم إلى ذيل الأمم المتأخرة.

ابن تيمية

ويجسد هذه العقليات المحافظة ابن تيمية وكان رحمه الله حريصا اشد الحرص على حفظ الدين وحمايته وتشدده المعروف عنه إنما كان رد فعل طبيعي لعالم يري أمتة مهددة في ثوابتها من مخاطر التتار .يعتبر تقي الدين أحمد بن تيمية الحاراني الحنبلي من الشخصيات المثيرة للجدل المختلف عليها ولكنه بلا شك لعب دورا كبيرا في الفكر والتراث الإسلامي وكان مولده في عام ٦٦١ هجري في وقت زالت فيه دولة الخلافة من بغداد على يد المغول ونقلت للقاهرة في فترة من اصعب الفترات في تاريخ المسلمين حيث كانوا يعيدون بناء الأمة من جديد .وممكن ان نقول عن ابن تيمية رحمه الله انه كان شيخ الإسلام عند الفكر السلفي .وهذا مخالف لغالبية أهل السنة فشيخ الإسلام هو رسول الله صلى الله عليه وآله ولكن اختلف الكثيرون مع ابن تيمية وأيده كثيرون ولكن الغالبية أجمعت على قدراته العقلية وذاكرته الحادة وغزارة إنتاجه الفكري من فتاوي (كتاب مجموع الفتاوي) وردوده العلمية المنطقية على كل المخالفين له أعطته شهرة واسعة ومحبة كبيرة لمناصريه بسبب هذه المناظرات والمعارك الفكرية فهو عند السلفيين رجل التراث بعد الائمة الأربعة .اما المشكلات التي أثارها بفكره الذي اعتبره كثيرون متشددا أرائه السياسية والجهادية فقد ابتعد فيها عن الوسطية ومالت إلى التشدد وينبغي البعد عنها لأنها كانت لظروف الزمان والمكان وهو ما نسميه واجب الوقت فقد كان الحكام من المغول وبلاد المسلمين محتلة والأمم كلها تتأمر علينا والدين في خطر والمؤامرات الداخلية بالذات الكيد من الشيعة فمؤامرة نصير الدين الطوسي الرافضي الخائن الذي باع الخلافة وتامر مع هولاءكو وكذلك ظهور كيد وحقد بعض غير المسلمين والفرق الضالة كلها عوامل اثرت في فتاوي ابن تيمية ولو كان موجودا الآن لتغيرت هذه الفتاوي تماما لتغير الظروف وهذا هو الفارق بين أهل العلم واهل البدعة فاهل البدعة أو الجهلة أو الخوارج يأخذون الفتوي كما هي من مئات السنين دون مراعاة تغير الوقت والظروف الحياتية واهل العلم يراعون ذلك ولا يقلدون التراث تقليدا اعمى وإنما يسترشدون بجهود القدماء لوضع فتاوي تناسب العصر .وهناك خلافات كبرى بين ابن تيمية وعلماء عصره في مسائل العقيدة عن ذات الله وطبيعته وصفاته وافعاله واقداره واكثر أهل عصره من العلماء والعوام خالفوه

وبعضهم كفره وفسقه واتهمه بالبدعة والنفاق من فقهاء المذاهب الأربعة ومن أهل السنة وحتى من المخالفين كالمعتزلة وغيرهم وسجن أكثر من مرة بسبب آرائه الشاذة والغريبة في بعض المسائل بالذات مسائل العقيدة وصفات الله .وان كانت له فتاوي أخرى تعبر عن فهم عميق وآراء تدل على علم غزير وفيها سماحة وإنسانية و انصاف للمرأة ومواقفه الجهادية حيث قاد الأمة دينيا وجهاديا فقد حمل السلاح وامطى الجواد وقاتل وله موقف تاريخي من نور عندما ذهب للحاكم المغولي طالبا فداء الاسري فقال له الحاكم نعطيكم المسلمين فرفض رفضا قاطعا حاسما وقال (اهل ذمتنا قبل اهل ملتنا) فاعطوه اسري الغير مسلمين والمسلمين معا على حد سواء ومشكلة ابن تيمية الاساسية مع ارائه ان المتطرفين والمتشددين يطبقونها بشكل خاطئ تماما وان كان هذا لا يعفيه من هفوات واخطاء قاتلة وسقطات تؤدي إلى الأخراج من الملة والى سهولة القتل والتكفير واباحة الدماء والسر في حرصه الشديد على التوسع وأحيانا الاسراف في سد الذرائع محاولة الا تضيع معالم الدين والمنهج السني وتميع العقيدة وبإجماع آراء المعتدلين المنصفين فان ابن تيمية رحمه الله كان عالما غزيرا فاضلا أراد خدمة الإسلام رغم أخطائه ووقوعه في التشبيه والتجسيم من وجهة نظر معارضييه وهم ليسوا قلائل ومنهم قمع من أهل العلم ويؤخذ عليه نزعة عدائية لاتباع أهل البيت والأولياء والصالحين وغير المسلمين السلفيين فالسلفيون فقط هم من يأخذون بآرائه وباقي الاراء وان كانت لا تهاجمه أو تكفره فانها لا تأخذ بآرائه لتشددتها فقد تم حبسه في القاهرة والاسكندرية ودمشق نتيجة محاكمة العلماء له وحكمهم بضلاله ومن مسائل الخلاف التي شت فيها النهي عن زيارة قبور الأنبياء ومنهم قبر النبي وقوله يجلس الله على عرشه وبتزله وهبوطه إلى السماء الدنيا في كل ليلة واثبت لله صفات الاتيان والمجيء والحركة وكتابه منهاج السنة شرح فيه ارائه التي يراها غالبية العلماء انها مخالفة .وفتاواه في هدم اضرحة الاولياء والصالحين مما يترتب عليها نبش المقابر وفتواه الغريبة في ازالة اثار الصالحين من النبي وال بيته ولكن كل هذه الخلافات والاجتهادات لا تغير الحقيقة الثابتة عنه رحمه الله ان كان من اصحاب الفكر الثوري التجديدي في التراث لما له من ملكات قوية وعقلية وذهنية عالية فقد كان له ٣٠٠ مؤلف واكثر ما يستفاد منه ردوده على المخالفين للسنة اما اقواله في العقيدة والسياسة فليست بذات قيمة كبيرة. كما ان ارائه شكلت منعطف مهم لاجراج المجتمع المسلم من استغراق في الروحانيات ادت به

إلى البعد عن الواقعية وأوصلته إلى روح اتكالية انهزامية فكان لابد من تحديد المهمة فكان ابن تيمية من هذه الأسباب ولكنه رحمه الله ظلمه الجهلة باتباعهم اياه بغير علم فأطاحوا بمدرسة الراي والاجتهاد والعقل حتى صار المجتهد وصاحب الرأي خارجا من الدين.

الأقطاب الأربعة

قسم القدماء العلم فوق بين أربعة مشايخ وأطلقوا عليهم الأقطاب الأربعة الكبرى هم الأركان التي يني عليها علم المسلمين وهم عبد القادر الجيلي والسيد أحمد الرفاعي وإبراهيم الدسوقي وأحمد البدوي وهؤلاء المشايخ الأربعة قدس الله سرهم الشريف يحملون تقدير المسلمين منذ قدیم الزمان لما عرفوا به من التقوي والزهد والورع والطاعات والانكباب على طلب العلم وعلي القرآن وعلي تعليم الناس الأخلاق وسير الصالحين من إتباع النبي وصحابته الكرام وال بيته الأطهار ويعطوهم الأذكار والأوراد والأدعية وعرفوا بالتواضع على كثرة علومهم .وام كان هناك أقطاب غيرهم ومتصوفين وعلماء وفقهاء آخرين ولكن شهرة الشيخ من كثرة تلاميذه وانتشارهم وهو ما نجده من أتباع الطرق الأربعة حتى وقتنا هذا .وهذه الطرق الأربعة إنما تنتهي إلى اصل واحد وهو القرآن الكريم والسنة المطهرة وكان لهم من الكرامات والبركات بفضل استجابة الله لدعائهم من شهرة واسعة فوضع الله عز وجل حبهم في قلوب عباده لأن الله اذا أحب عبدا أمر الملائكة بوضع القبول والمحبة لهم في الأرض وتظهر على وجوههم أنوار وبهاء وصفاء وعذوبة من الطاعة والذكر والعبادة فيجد المؤمن لذة في النظر اليهم والتعلم منهم فهم أهل الهمم العلية والآداب القدسية والمدارك الناجحة والتجارة الراجعة عرفوا حد البشرية وما تجاوزوا مقام العبودية ولا حجبهم الحجب المستعارة الفانية عما ورائها من الشؤون الصحيحة الباقية فألجموا الألسن بالكلام عن غير الحق وتبعهم على ذلك جم غفير من غني وفقير وخادم وأمير فهم أعيان الأولياء وأقطاب العرفاء شهرتهم صارت شرقا وغربا وتبعهم عجما وعربا وإننا تبركنا بعلومهم وآثارهم وتشبها باتباعهم .وساروا على مفهوم الولاية القرآنية (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين امنوا وكانوا يتقون) وما نسب اليهم من بدع وخرافات ومخالفات شرعية دينية وعقلية وأخلاقية هو افتراء محض أو من

تأثيرات الحكم الفاطمي لمصر وبلاد الشام وما حاول الشيعة إدخاله من عقائد مخالفة لأهل السنة والصقوها زورا وبهتاناً بالصالحين والأولياء المؤمنين الذين تعلقوا بهم قلوب الناس. ويمكن وضع تعريف مختصر لمفهوم القطب هو التحقق بالعبودية لله فالقطب ليس اله ولا يفوضه الإله في تسيير أمور الكون كما يظن البعض أو يكذبون فليس له في الكون يد ليعذب أو يرحم فالقطب محب يدعو الله فقد يعطي أو يحرم فهو يسأل ويدعو ويحتاج فالقطب هو عبد الله انعم عليه ويمرض ويجوع ويتلى ويجزن ويتألم ويأخذ بالأسباب المادية كالأدوية وبالروحانية كالدعاء ولكنه في قرارة نفسه يعلم يقينا ان الشافي هو الله ولكن القطب كمؤمن راسخ الإيمان بالصبر والقضاء والقدر تكون شكواه لله وليس تسخطا على قدره ولا يأخذ بأسباب الدنيا ويتوكل على قيوم السماوات والأرض كامل التوكل إلا أن الله يعلمهم من الحكمة لعبوديتهم وذلم وتضرعهم لله العظيم وحده وكثرة الشكر لله على كل الاحوال وكثرة الذكر على كل حال في الكلام والصمت والقيام والنوم فالقطب هذا كل حياته لله وبالله ذكر وشكر وتسبيح فهو الولي المتحقق. ومن الأقطاب المشهورين السيدة مريم والسيدة اسية بنت مزاحم والخضر العبد الصالح عليه السلام. ويعتبر على رأسهم آل البيت وأمّهات المؤمنين والصحابة فكلهم اولياء ومتقون اخذوا الولاية الكبرى والقطبية العظمى من قطب الأقطاب وولي الاولياء وإمام الأنبياء خاتم الرسل سيدنا محمد فقد كان للصحابة كرامات ومعجزات وللتابعين وظلت تتناقص الكرامات لكثرة المعاصي والذنوب فالقطبية هي باطن علم النبوة (ذهبت النبوة وبقيت المبشرات)، والرؤيا الصادقة من علامات النبوة والولاية فالمسلم يؤمن ان لكل نبي معجزة ولكل ولي كرامة والقطبية اعلى مراتب الولاية وشرط فيها موافقة القطب للقران والسنة وشرطها الاستتار وليس الاستعلاء اي انه لا يقول للناس اني ولي أو اني قطب ولا يدعي لنفسه المعجزات فيفتخر بالعلم الذي انعم به الله عليه ولا بكثرة عبادته ولكن الله يظهر من نعمه على عباده المؤمنين ما يشاء على قدر إيمانهم وتمسكهم بالكتاب والسنة. فالقطب إنما وصل لهذا المقام باستراحته واستعطافه لله. وقال ابن عربي عن القطب انه مركز الدائرة ومحيطها ومرة الحق والدائرة رمز للكون ومحيطها رمز للإيمان بالله ومرة الحق ان القطب يدعو الناس إلى الله ويدلهم على طريقه وهو كحزمة الضوء أو شعاع النور اينما حل كان الخير والبركة والإيمان وهذا ليس بفضله فهو لا يملك خيرا ولا اشرا ولا ضرا ولا نفعاً ولكنه فضل الله

ونعمته وأهل السنة يدركون ذلك من خلال الوضع (الدين أو القرآن) وبعض الفلاسفة يدركونه بالعقل البحت. ويسمي القطب غوثا لالتجاء الناس اليه طلبا للدعاء والبركة وقد فعل ذلك عمر بن الخطاب مع العباس عم النبي عندما توسل لله بفضل العباس لانزال المطر مع ان عمر بن الخطاب من الاولياء الكبار فقد رأي المعركة في بلاد أخرى وهو يخطب في المسلمين وكان يصف لهم ما يحدث فلما حاصر العدو جيش المسلمين صاح يا سارية الجبل الجبل وسارية هذا من جيش المسلمين فسمعه سارية وهو بأرض أخرى ولاذ الجيش بالجبل وانتصر المسلمون. فكما هو معلوم ان الله عز وجل لا يحجب العلم والفضل والدعاء المستجاب عن عبده الصالح المقبل اليه وان هذه الحجب هي حجب على قلب الإنسان بسبب معاصيه وبعده عن الله ولذلك كان الولي يدعو الله فيستجيب له في غالب الاحيان. ومما عزز هذه الشهرة الواسعة والحركة الصوفية الكبيرة واقبال الناس عليهم بسبب انهم يرمزون للزهد والتواضع في زمن فاحش الثراء والترف من جهة وكثرة المعاصي والذنوب من جهة والمعتقدات الضالة الفاسدة وأعداء الإسلام من جهة. والقطب هو في حضرة دائمة مع الله إما بالصلاة أو الذكر أو التأمل ومن مقامات الولاية معرفة الله والفرق بين العالم والعارف ان العارف يعرف ارادة الله له وما اراده به على وجه الخصوص.

أما العالم فيعرفها على وجه العموم من حيث التحليل والتحریم والأحكام (العالم يعلم إرادة الله في شيء معين هل هو حرام ام حلال ام مكروه)، ويتفوق العالم على العابد للحديث (فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب)، وهذا مع اجتهاد العابد في عبادته أما العارف فيتفوق على العالم في معرفته إرادة الله على الخصوص لعلو إيمانه بالقدر ورضاه به فهو تيقن من اختيار الله له في كل شئون حياته حامدا شاكرا راضيا للحديث (عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له وإن أصابته ضراء شكر فكان خيرا له) فالقطب علمه لديني كشمسي باطني يعلمه الناس وبه يفتي للناس ويحل مشاكلهم يأخذه تلقيا من الله. والقطب الولي المتحقق يعرف ما اراد الله به في ما اقامه فيه من أمر من الامور يعني يوفقه الله في قرارته (مثلا يسافر ام لا أو يفعل شيء أو لا يفعله أو يأخذ ام يعطي). وسبب تسمية المشايخ بالأقطاب الأربعة لتأسيسهم الطرق المشهورة التي سار عليها المسلمون

للوصول إلى طريق الله وانتشرت في كل العالم استكمالاً للطريق الذي رسمه النبي والصحابة وبداه الأنبياء من قبل ويدعو المسلمون في صلاتهم (آت محمد الوسيلة والفضيلة والدرجة العالية الرفيعة وابعثه اللهم المقام المحمود الذي وعدته)، والوسيلة هي موطن ومثلة الاولياء كلهم والفضيلة لرؤساء الاولياء والتابعين والصحابة والدرجة الرفيعة للأنبياء والرسل والمقام المحمود للنبي صلى الله عليه وآله. ووضع العلماء شروطاً للولاية وهي طاعة الله والاستقامة واعظمها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونشر الخير وإصلاح المجتمع وعمار الأرض والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شرط خيرية الأمة وخيرية المؤمن وهي شرط الولاية وأساس القطبية لقوله تعالى (كنتم خير امة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) واعلي مقامات الخير والأمر بالمعروف هو مقام الدعوة إلى الله. **والشيخ عبد القادر الجيلي** أو الجيلاني أو الكيلاني لانه ولده ببلدة جيل وهو رحمه الله مؤسس الطريقة القادرية ولقب بياز الله الأشهب وشيخ الإسلام وكان فقيها حنبلياً ولد عام ٤٧٠ هجرياً ونال قسطاً وافراً من علوم الشريعة واشتهر في العراق ثم صار يعلم الناس ويعظهم وكان له كلمة مسموعة عند الحكام والأمراء والوجهاء فتابع كثيرون منهم إلى الله وعرفوا طريقه بهداية الشيخ عبد القادر الجيلاني وكان شخصية اسرة مؤثرة (كاريزمية) في دروسه ووعظه وإلقائه وتأثر بالغازالي وقام بالتدريس في مدرسة أبو سعيد في باب الازج وصار رئيساً للمدرسة وتوافد عليه طلبة العلم حتى ضاقت المدرسة بهم وضموا المنازل حولها ومناطق أخرى وتبرع الاغنياء بمبالغ كبيرة للمدرسة واسلم على يديه ٥ الاف شخص واثني عليه ابن تيمية رحمه الله ثناء كبيراً ابن عربي رحمه الله (وقلما يجتمع ثنائهما في شخص)، وغيره من العلماء من علماء المذاهب الأربعة فقد اجاد في المذاهب الفقهية كلها وهو اكثر الأقطاب الأربعة بل ومن اكثر المتصوفين اتفاقاً على علمهم وفضلهم ونسكهم وتقواهم ومن كتبه اغائة العارفين وغاية مني الواصلين، اوراد الجيلاني، التوصل إلى منازل السلوك، تحفة المتقين وسبيل العارفين، جلاء الخاطر في الباطن والظاهر الرسالة الغوثية اما كتابه الاشهر الذي فيه اوراده ومواعظه فهو الفتح الرباني والفيض الرحماني وتروي كتب المؤرخين الصوفيين انه اخذ الطريقة عن ابي سعيد المبارك المخزومي عن ابي الحسن القرشي الهكاري عن ابي الفرج الطرطوسي عن ابي بكر الشبلي عن الجنيدي عن السري السقطي عن معروف

الكرخي عن داود الطائي عن حبيب العجمي عن الحسن البصري ويقولون ان مصدر الطريقة هو الإمام على وقد ورث علم النبوة عن رسول صلى الله عليه وآله .ومن العراق أيضاً بزغ نور أحمد الرفاعي طيب الله ثراه في عام ٥١٢ هجرياً وهو فقيه اشعري صوفي شافعي وملقب بابي العلمين وابي الطرائق ومؤسس الطريقة الرفاعية المنتشرة في العالم ولد سنة ٥١٢ هجرياً وهو من السادة نسل آل البيت وجده هو الإمام موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسن بن علي سلام الله عليهم جميعاً وكان الرفاعي قدس الله سره اعلم أهل زمانه وابرز فقهاء الشافعية فقد برع في جميع علوم الشريعة رغم صغر سنه واتقن الفقه اتقاناً تاماً وسمي بابي العلمين لبلوغه قمة العلم في علوم الظاهر والباطن (الشريعة والحقيقة)، وعلوم الفقه والتصوف وأتقن علوم الحديث والتفسير وكان متواضعاً زاهداً شديداً على الكافرين والمبتدعين رؤوفاً رحيماً بالمؤمنين سخياً كريماً جواداً وعكف من عمره وجهده تعليم الناس العلوم الدينية وعلوم الأخلاق ومدرسة التربية والتركيبية. وتقوم الطريقة الرفاعية على مجاهدة النفس ضد الشهوات والاكتثار من الطاعات كما ورد في الكتاب والسنة والاكتثار من الأذكار والأوراد لشغل النفس بالطاعة عن المعصية وعن زخرف الحياة الدنيا مما يجلي حقائق الإيمان واسرار الكون للمؤمن فتلاميذ السيد الرفاعي والمنتسبون لطريقته الربانية هم كبار علماء المسلمين بعد ذلك ومن مؤلفاته حالة أهل الحقيقة مع الله الصراط المستقيم والبرهان المؤيد وكتاب الحكم، معاني بسم الله الرحمن الرحيم، الطريق إلى الله، التحفة الرفاعية، كتاب قلادة الجواهر. ومن مآثوراته في نصيح الناس وأمرهم بالتزام الشريعة والتحذير من أهل الشطح والغلو والبدع (هؤلاء قطاع الطريق -يقصد طريق الله- فاحذروهم) وعن القائلين بالحللول والاتحاد ووحدانية الوجود وكان يمتقنهم ويبين فسادهم وضلالهم (هؤلاء قوم أخذتهم البدعة من سروجهم إياكم ومجالستهم)، وكان يأمر باتباع السنة على نهج جده المصطفي قائلاً: (اتبع ولا تبتدع فان اتبعت بلغت النجاة وصرت من أهل إسلامه وان ابتدعت هلكت)، وكان محباً للعلماء والفقهاء ويدعو الناس لتقديرهم قائلاً هم أركان الأمة. وأخذ الطريقة ولبس الخرقة عن موسى الواسطي القاري عن أبي بكر الشبلي عن الجنيد عن السري السقطي عن معروف الكرخي عن حبيب العجمي عن الحسن البصري ومن طريق آخر وهو خاله الشيخ البطائحي وصولاً للجنيد.

وكما أراد الله لأرض مصر أن تكون كنانته في أرضه وتحفظ دينه فكلما اضطهد أهل الإيمان في بلد أتوا إلى مصر حيث القلوب المؤمنة وأهل الخير الكثير الفياض ومحبي الصالحين وال البيت والصحابه والتابعين فقد جمت مصر الإسلام في حطين وعين جالوت وخرج إليها ال البيت بعد كربلاء وكانت مقر خلافة المسلمين بعدما دمرت بغداد فلم يكن مستغربا ان تحمل ما تبقي من أنوار الولاية فكان فيها القطب الثالث شيخ العرب السيد أحمد البدوي في قلب دلتا النيل ولد السيد أحمد البدوي في فاس بالمغرب عام ٥٩٦ هجرى واجداده من الجزيرة العربية هاجروا منها هربا من بطش بني أمية وينتهي نسبه الشريف إلى الإمام الحسين بن على عليهما السلام كما وثقه غالبية العلماء ومنهم الحافظ السخاوي وعاش في مكة وزار العراق وصولا إلى ضريح الشيخ أبو العلمين الرفاعي قدس الله سره واخذ الطريقة عن الشيخ بري الرفاعي عن على بن نعيم البغدادي عن السيد الرفاعي قدس الله سره. ورباه ابوه على الفروسية فنشا فارسا شجاعا حتى كان أشجع فرسان مكة وقتها وسمي بالعطاب لذلك وتعلم القرآن وحفظه في سن صغيرة .وقد حصل على التزكية العلمية والاجازة من الشيخ عبد الجليل بن عبد الرحمن النيسابوري بسبعة وسائط تنتهي إلى داود الطائي عن حبيب العجمي عن الحسن البصري رضي الله عنهم .وسمي بالبدوي لكثرة وضعه اللثام وتغطية وجهه وذلك من طفولته ومن اثر الفروسية وحبه لركوب الخيل وتنقله في الصحراء فقد كان يميل إلى الانعزال والانفراد بنفسه منذ الصغر ودرس الفقه الشافعي وتلقي علومه. وأشهر آثاره (الله الله يا بدوي جات اليسرى) المقصود بها الأسرى حيث كان البدوي مجاهدا يحارب ضد الصليبيين الذين يغزون أرض مصر ويأسر منهم كثير ولما يحدث تبادل الأسري ويعودون لاهلهم ولسبب آخر انه كان مستجاب الدعوة فكان الناس يذهبون إلى مسجده ويطلبون منه الدعاء والبركة فيدعو الله عز وجل ويصلي على النبي طويلا فيرد الله الأسري ووردت اكثر من قصة عن هروب الاسري من بلاد اوربا من بطش الصليبيين. وذكر المؤرخون اوصافه فكان شديد الشبه بأهل البادية في شكله وثيابه ولذلك سموه بالبدوي وذات يوم كان نائما في صحن الكعبة وراودته رؤيا انه ينتقل إلى مصر (قم يا غلام ووحد الملك العلام واذهب إلى طنطا -طنطا - فيها يكون مقامك حتى تموت) وكان قبل ذلك ينزل عن الناس في مغارة بجبال مكة يتعبد فيها ويتضرع لله عز وجل وقد ظلت هذه عادته حتى سكن في طنطا بدلنا مصر فقد

عاش فوق سطح احد المنازل حتى لا يكون بينه وبين السماء والافق الفسيح حائل ولعادة ورثها عن أهل العراق وهو نومهم على أسطح المنازل وكان لا يجب ان يضايق أهل البيت لشدة حياته رحمه الله ومن هنا تفجرت فكرة البدوي التي جاء لها خصيصا فقد اراد ان يكون له اتباع كثيرون وتنتشر طريقته الاحمدية أو البدوية ويكثر تلاميذه على فقهه الشافعي والعلوم التي ورثها عن اجداده ال البيت وقد نجح وكان له ما كان فيها مجال مصر الدولة القوية المؤمنة التي يحب اهلها ال البيت والمجال فيها متسع لمثل هذه الحركات الصوفية فهي لم تتشبع مثل العراق أو مكة فوجد في مصر أرضا خصبة لبداية تأسيس الطريقة الخاصة به لانفتاح مجال الدعوة فيها وطنطا تقع بين القاهرة العاصمة والاسكندرية ورشيد من جهة ودمياط من جهة أخرى وهي الموانئ حيث حركة التجارة والرواج على الطريق بينهم في حين ان طنطا كانت بلد صغيرة جدا مهملة ليس فيها اثر لدعوة أو شهرة فانفتح المجال امامه تماما وتوافد عليه الناس من كل مكان ويحبون التقوي والورع والزهد والتواضع وترك زينة الدنيا وهي كلها صفات في الشيخ أحمد البدوي رحمه الله فكثر اتباعه وتلاميذه حتى الآن في جميع انحاء العالم وكان تلاميذه يلقبون بالسطوحيين نسبة إلى سطوح المنزل الذي كان يسكن عليه ويدونون هم العلوم عنه وينقلون اذكاره واوراده وكتبه ومؤلفاته واشعاره وتراثه الكبير من الوصايا والمواعظ وكانت له استراتيجية في الدعوي انه يرسل احد تلاميذه إلى منطقة نائية أو قرية صغيرة فيمكنه فيها ويبيع الناس ولا يغادرها حتى يموت فصنع مراكز دعوية متعددة في اماكن غير تقليدية وكان البدوي قدس الله سره حاد الذكاء شديد الحياء والخجل قوي الذاكرة شديد التحمل فقد كان يصوم ٤٠ يوما متواصلا وكان يصلي الليل كله وبالنهاري يدعو الله شاخصا ببصره إلى السماء اغلب الوقت قليل الاكل جدا يعيش على شرب المياه ويقوي بدنه بذكر الله فقد كان يقول عن شدة تعلقه وحبه لله عز وجل (الوجد — شدة الحب — أن يكثر ذكر الحق لا إله إلا هو فيقذف نور في القلب من قبل الله تعالى فيقشعر منه الجلد فيلحق بالمريد الوجد ويتعلق بالله قلبه وعندما يزيد الوجد يزيد ولها وعندها يبلغ المريد الدرجة العليا في التسامي الروحي) (فيفيض الله عليه من كمالاته وانعاماته ما يقتضيه كرمه ثم يمن عليه بمقام التمكين وهو مقام البقاء بعد الفناء — يقصد فناء العبد في نور الله — فيرده إلى نفسه وسبحو بعد محوه ليؤدي رسالته التي اقتضاها ذلك الكرم) وهي تعليم الناس علوم الدين

(كشفا وتلقيا أو فقها) فاطلقوا عليه القدسي لما نور الله سره وذاته حيث إنصرف بكامل جوارحه إلى ملكوت الله والصامت لقله كلامه والولي لانه فضل الله عزوجل على كل ماسواه في كل حياته وأموره ولما بلغت شهرته الافاق وكثر تلاميذه وزواره ومريديه ارسل اليه قاضي القضاة ابن دقيق العيد رجل معه كتاب احاديث وسنن فساله اسئلة كثيرة اجابها كلها فذهب اليه بنفسه واعجب بعلمه وصبره وتقواه وزهده ورفع امره إلى السلطان شاكرًا شأنه رافعا قدره . لكنه عاش دورا مركبا كشخصيته المعقدة فهو لم يكن قطبا صوفيا فقط بل كانت له رسالة اجتماعية إصلاحية كبرى وهو ترسيخ الجهاد ضد الصليبيين وقته ايام اواخر الدولة الأيوبية وصعود دولة المماليك وتاهيل المجتمع الإسلامي للتقدم والريادة من جديد فلم يكن مجرد رجل دين صوفي عرف عنه الزهد والتقشف وكثرة المريدين والتلاميذ فقد كانزعجما شعبيا أيضًا وقائد للمقاومة وقائد سياسي فقد حول التصوف من حالة الجمود التي أصابته وأعاده إلى سيرته الأولى وهي واجب الوقت والواجب العملي والجهادي ومن مآثوراته (يقول الله تعالى في كتابه المكنون "ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون "فعليك بكثرة الاذكار واعلم ان ركعة بالليل افضل من الف ركعة بالنهار ،اشفق على اليتيم واكس العريان ،واطعم الجيعان واكرم الغريب والضيفان)(اياك وحب الدنيا فانه يفسد العمل الصالح كما يفسد الخل العسل)، وله وردان يسميان بالحزب الكبير والصغير . وتروي عنه قصص وروايات عجيبة وغريبة تقترب من الاساطير لا يقبلها العقل من مؤيديه ومن معارضيهِ وهذه الروايات الباطلة التي لا توافق الشريعة ولا تتوافق مع سيرة عبد صالح ترفعه إلى مصاف الأنبياء والمرسلين وتعطيه اشياء خارقة للعادة لا يقبلها العقل فهي مدسوسة عليه فمثلا مسجده الكبير وضريحه الذي يقام عليه المولد أنشأ بعد وفاته ب ١٠٠ أو ٢٠٠ سنة و تدوين حياته وتاريخه وسيرته كان بعد وفاته ب ٣٠٠ سنة في ايام الدولة العثمانية وكان فيه اساءات لاغراض هدم الدين من خلال تشويه رموز الإسلام ومن خلال مؤامرات الشيعة الباطنية الإسماعيلية لهدم تاريخ أهل السنة وتزويره ومما اتفق عليه انه لم يكن كثير التالف وإنما اهتم اكثر بتربية الرجال وارسالهم للاقطار فهي كرامته العظمي وظل المسلمون يبجلونه ويوقرونه ويحبونه حتى وقتنا هذا ولم يشغب على اجماع المسلمين على ولايته وصلاحه إلا من عهد قريب من بعض الاصوات الوهابية والجماعات التكفيرية التي ما انزل الله بها من

سلطان وبشكل عام يعتبر البدوي عبد صالح قطب صوفي فقيه شافعي مجاهد كبير شديد الحب لله معلم من الطراز الأول صاحب رسالة عظيمة شخصية مؤثرة تقي ورع زاهد ناسك وان كثرت عليه الشائعات سلبا وإيجابا .وارتبط مع البدوي قدس الله سره اسم آخر هو القطب الرابع إبراهيم الدسوقي طيب الله ثراه الذي انار مصر بانوار العلم والنبوة لازال تلاميذه منتشرين ينشرون طريقته حتى الآن وتعتبر من اكبر الطرق في العالم والشيخ إبراهيم الدسوقي شريف الحسب ابا واما فجداه الاعلى لاييه وامه هو النبي محمد ولقب بابي العنين وبرهان الملة والدين وصاحب السيوف وصاحب الرمحين ولد في مصر عام ٦٣٣ هجرياً في مدينة دسوق بمحافظة كفر الشيخ وتربي على الفقه الشافعي وتأثر بأفكار ابي الحسن الشاذلي وأحمد الرفاعي واتصل بأحمد البدوي وبينهما مراسلات شهيرة وهو القطب الرابع من أقطاب الإسلام الأربعة .واتصل بالرفاعية عن طريق ابي الفتح الواسطي وكان من القائلين بوحدة الشهود وهو التيار المضاد للاعتقادات الكفرية الشركية الباطلة عند معتقد أهل السنة مثل وحدة الوجود كان يرى ان الكون تجلياً لصفات الله وليس لذاته كما يزعم أهل الباطل .وكان يعتقد في الحقيقة الحمديدية أو الحضرة الحمديدية وهي ان النبي هو محل نظر الله وعنده منتهى علم البشر وان كل علم من علوم الدين إنما هو مستمد أو جزء من علوم النبوة وبلغ من علمه كل علوم التصوف السني الشرعي إلى جانب الفقه فتولي في عهد السلطان بيبرس منصب شيخ الإسلام .وقد بشر الله عباده الصالحين برؤي صادقة عن مولد الشيخ الدسوقي قدس الله سره فقد قال محمد بن هارون لوالد الشيخ انه سيولد لك ابنا سيكون وليا صيته من المشرق إلى المغرب وله قصة طريفة عندما كان رضيعا كان هناك خلاف على أول يوم في رمضان لعدم تحقق رؤيا الهلال فامتنع عن الرضاعة منذ طلوع الفجر حتى مغرب الشمس فكانه صيام وأنشد (نعم نشأت في الحب من قبل ادم وسري في الأكوان من قبل نشأت في علي الدرة البيضاء كان اجتماعنا وفي قاب قوسين اجتماع الاحبة \وكل ولي للاله مؤيد يشهد باني ثابت في ولايتي \انا القطب شيخ الوقت في كل مذهب أنا السيد البرهان شيخ الحقيقة)، وكان نبوغه العقلي والعلمي واضح وكبير وظاهر من صغر سنه وبراعته في المذهب الشافعي وعلوم التصوف أيضاً واشهر كتبه الجوهرية وكان له خلوة يختلي فيها بنفسه يدعو الله ويصلي ويتلو الأوراد والأذكار واجتهد في تفسير القرآن اجتهدا عظيما واخرج الله على لسان من

اسرار كتابه وعجائب القرآن التي لا تنقضي وكانت تفسيرات لم يات بها من سبقوه حتى انه قال (فككت طلاس سورة الأنعام التي عجز عنها خالي أبو الحسن الشاذلي) كانت له صدامات مع السلطة كعادة المتصوفة فقد كتب إلى السلطان برفضه زيادة الضرائب على الناس ودعا الله فاستجاب الله فلم يزدها السلطان وذات مرة بشره بالنصر في عكا وهو ما حدث فكان السلطان يتبارك به ويساله الدعاء كلما خرج للقتال . وللدسوقي رؤية خاصة في التصوف انه ليس مجرد الزهد وترك الدنيا وإنما هو مراحل إيمانية وتاملية تدريجية وكان ينصح مريديه بالتجرد عن الشهوات وحب الدنيا والتدرج الروحي ياتي بالطاعات والذكر ومن اقواله الماثورة في نفي الحلول والاتحاد (فاوصلت ذاتي باتحادي بذاته \ بغير حلول بل بتحقيق نسبي)، وقد زاد فيه المغالون والمنتفعون ومروجو الاساطير وغالي في سبه ولعنه وتكفيره اخرون ونسبت اليه عبارات كفرية وابيأت شعر شريكية إلا أن المؤكد من نسبته للشيخ رحمه الله يدل على تقواه وصلاحه وولايته (يا اولادي ناشدتكم بالله لا تسيئوا إلى طريقي ولا تلبسوا في تحقيق ولا تدلسوا ولا تدنسوا وان كنتم صحتموننا لتأخذوا منا اوراق بغير عمل فلا حاجة لنا بكم) (خواص الخواص زواياهم قلوبهم ولبسوا تقواهم وخوفهم من ربهم ومولاهم فلم يطيروا في الهواء ولا لامسوا مجذوما أو ابرص فبرئ فخرجوا من الدنيا اجورهم كاملة رضي الله عن الجميع).

يا حضرة مولانا

لم يقيم الإسلام وحده على العرب وإنما أسهم الفرس والأتراك في تلك الحضارة بقوة ومع بداية عصر انهيار الدولة العباسية ارتفع شأن الفرس والأتراك على حساب العرب إلى ان زالت الخلافة على يد المغول ولكن كان لهذه العوامل اثرا عند قيام الامبراطورية العثمانية في ايجاد مذاهب توحد المسلمين حتى الآن في اوربا والدول العربية وافغانستان ودول اسيا وهو علوم التصوف والطرق الصوفية وركن الزاوية في هذه المنظومة وهي النشأة في افغانستان أو بلاد الفرس والشهرة من تركيا وذيوع الصيت في اوربا هو حضرة مولانا جلال الدين الرومي قدس الله سره فكان محمد بن محمد بن حسين بهاء الدين البلخي المولود في خراسان (افغانستان حاليا) عام ٦٠٤ هجري المدفون في قونيا في تركيا

ومؤسس المولوية . المولوية نقلة نوعية في الفكر الإنساني ككل وفي الفلسفة بشكل عام وما استتبع ذلك من آثار ونتائج على الفلسفة الإسلامية وعلوم التصوف والفقه الإسلامي فالمولوية قائمة لغة راقية جدا من الرمزية والتعبيرية فهي ليست مجرد طريقة صوفية بل قد تصنف المولوية على أنها شكل من أشكال التصوف . ساعد على انتشار المولوية أنها انتشرت في تركيا فلما قامت الامبراطورية العثمانية انتشرت معها المولوية كما ان جلال الدين الرومي كان فقيها حنفيا وشاعرا كتب بالفارسية وهو ما ميز طريقته فكل الطرق الأخرى المشهورة من أصول عربية فوجد الفرس والأتراك والاسيويين طريقة تحمل طابعا مميزا ونكهة خاصة تعكس ثقافتهم وتراثهم واحبها العرب بشدة ولا زالت موجودة حتى الآن ومشهورة جدا وخرجت من النطاق الصوفي إلى النطاق الأدبي والفني والفلكلوري فهي اخذت شكلا كأشعار وكحكم وكقصائد تمت ترجمتها وغنائها بلغات متعددة فالخضرة عندهم عبارة عن دائرة ترمز للكون يجلس في وسطها الشيخ كرمز لمركز الكون المادي وهي الكعبة ولمركزه المعنوي وهو النبي صلى الله عليه وآله وما يمثله من علم ونور الهي والشيخ يستقي علمه من النبي إما تلقياً (إلهاما من الله) وإما عن طريق الأوراد والأذكار التي يتوارثها المشايخ عن جيل الصحابة والتابعين ويرتدي المريدون قبعة طويلة بنية اللون كرمز لشاهد القبر ويرتدون رداءا ابيض كرمز للكفن ومن مثل ذلك التنورة التي بدأت كطقوس روحية ثم صارت رقصات شعبية وترمز لدوران الأرض وتعاقب الليل والنهار واستمرار الدوران يعطي المريد مستويات عليا من التركيز والصفاء الروحي والبعد عن العالم المادي فتتوارد على ذهنه خواطر عن حقائق الكون وعجائبه وهي مراحل متقدمة في التأمل والروحانية والصفاء الذهني ومثل ذلك الشطح (ان يقف الرجل ويحرك وجهه يمينا ثم يسارا في حركات متتابة) الموجود بكثرة في الموالد والاحتفالات والحلقات وهو ان لم يكن له اي اساس شرعي فانه ممارسة ذهنية بحتة ومعقدة جدا تعتمد على اهلاك الجسد واتعابه بشدة فتعلو روحانية المريد (علي اعتبار أن الإنسان مكون جسدي بشري ومكون معنوي نوراني وهو الروح فكلما زاد المكون الجسدي قل الروحي والعكس صحيح) يرمز الشطح الحركي إلى البندول الذي له مركز ونقطتين في اليمين واليسار وهكذا الأرض تدور حول مركزها ويتعاقب عليها الليل والنهار ومعني ذلك ان الإنسان لا ينشغل بالدنيا عن الآخرة لأن الموت قريب يأتي في اي وقت فالدنيا متغيرة

والإيمان ثابت واحوال الناس تتبدل اما التعلق بالله ورسوله فهو ثابت مثل المركز الثابت وهذا تشبيه لحال الدنيا الفانية عندهم . واشهر اعماله قواعد العشق الاربعين الذي يعد من اشهر الكتب في التاريخ بشكل عام والتاريخ الإسلامي بشكل خاص ومثنوية المعاني والرباعيات والديوان الكبير والذي كتبه رثاء لشيخه العلامة شمس الدين التبريزي رحمه الله وقصيدته الرائعة انين الناي كانت تحمل فلسفة راقية جدا عن الناي وما يمثله للمتصوفين من رمزية عن الموت والحياة والخلود في الجنة وحلاوة القرب من الله عزوجل ولازالت حتى الآن قونيا تحتضن احتفال دينيا ضخما سنويا يضم علماء المسلمين من كل بلاد الدنيا إحياءً لذكراه وللتشاور في أمور الدعوة .

الطريقة النقشبندية

ومن الطرق غير العربية النشأة أيضاً ولها انتشار واسع ومرت بنفس ظروف الملووية تقريبا هي الطريقة النقشبندية وقد كانت الطريقة شبه الرسمية لسلطين الدولة العثمانية وهي المقربة منهم والمحبة إليهم . ومؤسسها هو الشيخ محمد بهاء الدين شاه نقشبند وهي طريقة تعتمد على فكرة الالتزام الأخلاقي والتواضع والصفاء الروحي وكثرة العبادة والطاعات وفعل الخير اكثر من التأمل والاهتمام بالإفكار الفلسفية العرفانية المعقدة وقد يكون ذلك ليس في بدايتها وإنما في وقت لاحق عليها وهي تختلف عن غيرها من الطرق التي اتخذت موصلاها الروحي إلى النبي تعاليم الإمام على عن طريق الإمام جعفر الصادق فكان موصل النقشبندي الروحي للنبي هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه . النقشبندية لها تفرعات كثيرة مثل اليسوية والملامية والخالدية . وتعتمد النقشبندية على نفس فكرة المقامات السبعة للنفس التي تنتهجها غالبية الطرق الصوفية التقليدية وهي الأمانة بالسوء والوامة والمطمئنة والملهمة والراضية والمرضية والكاملة وهي نفس النبي.

مصر ورجالاتها

وبعد سقوط الخلافة العباسية في بغداد وانتقال عاصمة الخلافة إلى القاهرة ظهرت جهود العلماء المصريين في كل علوم الدين ومن ابرزهم **السيوطي** وكتابه الاتقان في علوم القرآن وكان له حوالي ٣٠٠ كتاب وهو من اتم تفسير الجلالين الشهير مع المحلاوي وقد عاصر الحافظ **شمس الدين السخاوي** واختلفا سويا والسخاوي فقيها شافعيًا مصريًا ومؤرخًا شهيرًا في عصر المماليك له مؤلفات كثيرة وتأثر بابن حجر **العسقلاني المصري** امير المؤمنين في علم الحديث وكان شافعيًا اشعريًا صاحب كتاب فتح الباري في شرح صحيح البخاري وكتاب الاصابة في تمييز الصحابة .

واشتهر المصريون بحب الله ورسوله وآل بيته وأوليائه الصالحين وكان منهم شعراء وأهل علم وفضل ومنهم **عمر بن الفارض** سلطان العاشقين رحمه الله . ولد في عام ٥٧٦ هـ هجريًا وله قصائد رائعة من افضل ما قيل في الغزل العفيف والوصف وبرع في وسف الطبيعة وكان يري محبوبته في كل ارجاء الكون وقد جعل حبه لها من ارقى انواع الحب وهو الحب في الله فكان روحه تحب روحها في ملكوت السماء وله مدائح نبوية رائعة وله في التذلل والتوبة والعشق الالهي والتأمل في خلق الله قصائد تكاد تكون هي الافضل في التراث الإسلامي واضاف إلى الشعر معان جديدة لم يتطرق إليها القدماء مثل ان جعل روحه تلاقي روح ليلي العامرية (محبوبته) لقاء خياليًا لانه تقريبا لم ير وجهها وفي الغالب كان يتخيل ذلك وقد تكون محبوبته شخصية خيالية وفي الغالب اشتهر شعره بانعكاس الكون والطبيعة من حوله على نفسه والعكس وهي الامتزاج بالطبيعة وقد اوقعه هذا في سوء فهم وأخطاء ومخالفات شرعية فقد كتب عن الحب والعشق الالهي كما يكتب في الغزل والوصف وقد اخذ عنه بعض المؤرخين والنقاد عدم الوضوح أحيانًا والمغالاة والمبالغة قد تؤدي إلى التجسيم والتشبيه والبعض فسرهُ على الحلول والاتحاد ودفن بالمقطم في مسجده الكبير هناك وله كثير من الحبين والمريدين ومن شرح كتبه وقصائده الجميلة الراقية . نشأ ابن الفارض رحمه الله شافعيًا وأخذ علم الحديث عن ابن عساكر ثم مال إلى الزهد وذهب إلى مكة واعتزل الناس في إحدى مغارات الجبال واشد اشعاره وعاد لمصر بعد ذلك بعد ١٥ عاما . وعرف عنه العبادة والقناعة والزهد والورع وحسن الخلق

والسيرة ومحة الناس وكان الناس يقبلون عليه وكبار رجال الدولة واقام في قاعة الخطابة بالجامع الأزهر .وامتاز الشعر الصوفي بشكل عام بالرمزية والكنائية وبالمبالغة والتهويل في وصف الام النفس المترتبة على ذنوبهم التي تبعدهم عن الله عز وجل وقد ظهرت في رمزيتهم انهم أشاروا للذات الإلهية بمحوبات العرب المشهورات مثل ليلي وهند وسلمي وذلك لاعتقادهم ان كل مظاهر الحسن في الوجود هي تجليات للجمال الالهي الذاتي فالمرأة عندهم ليست مجرد جسد وإنما كل جمال في الأرض هو من جمال الذات الالهية وكل ابداع وكل حياة وكل علم وكل شيء وكل مخلوق إنما هو من تجلي صفات الله على مخلوقاته.وعمر بن الفارض رتب قصائده حسب الحروف فكان ينهي قافيتها بكل حرف من الهجاء ومن اروع قصائده تائية نظم السلوك التي احبها الناس وتعلقوا بها وعدد أبياتها اكثر من ٧٠٠ وهي اطول قصيدة في تاريخ العشق الالهي (سقتني حميا الحب راحة مقلتي وكاسي حميا من عن الحسن جلت \فاوهمت صبحي ان شرب شراهم به سر سري مع انتشائي بنظرة \وبالحقد استغنيت عن قدحي ومن شمائلها لا من شمولي نشوتي) والخمر عندهم في لغتهم الرمزية التعبيرية تعني الحب الالهي والكأس يعني القلب والنظرة معناها نور العلم والنشوة درجة عالية من القرب من الله والصفاء النفسي و الشرب معناها تلقي العلم أو تلقي البركة من الله أو من شخص ولي تقي انعم الله عليه بعلمه ومعني هذه الايات ان حبه لله تعالى قد بلغ ذروته وانه يري كل شيء جميل في الكون من صنع الله ولا ينشغل بالمخلوق عن عظمة الخالق .ومن روائعه أيضاً في مدح النبي صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم في حب الله (شربنا على ذكر الحبيب مدامة سكرنا بها من قبل ان يخلق الكرم \لها البدر كاس وهي الشمس يديرها هلال وكم يبدو اذا مزجت بنجم \ولولا شذاها ما اهتديت لحافها ولولا سناها ما تصورها الوهم \ولم يبق منها الدهر غير حشاشة كان خفافها في صدور النهي كتم \فان ذكرت في الحي اصبح اهله نشاوي ولاعار عليهم ولا اثم \ومن بين احشاء الدنان تصاعدت ولم يبق منها في الحقيقة الا اسم) الحقيقة ان الرعة الدينية واضحة جدا فالحديث عن خمر الآخرة التي (لا لغو فيها ولا تأثيم) هي المقصودة ومعناها في الدنيا المحبة الالهية ومعني الايات انهم جلسوا يصلون على النبي(المقصود بالحبيب) ويتناولون سيرته فاخذتهم هذه السيرة العطرة وانستهم انفسهم من حلاوتها ومحبتهم للنبي فتلك الصلاة على النبي ازية حتى من قبل خلق الإنسان ومكتوبة في

السماء وهي الكلمات التي قال عنها الله (فتلقي ادم من ربه كلمات). ثم يستحضر مجلس النبي واصحابه كأنهم نجوم وهو بينهم كالشمس ويستعرض معجزاته الكبرى من شق القمر وغير ذلك. ويقول انه لولا الاخبار والاحاديث والسير التي وردت عن النبي ما كان سيعرفه وسيجد تلك اللذة ولولا هدي الله لهم بنوره ما كان سيدركه تلك الحلاوة وتلك السيرة النبوية احد ولو حتى يتخيلها. ولبعد عهدهم بالنبي والصحابة فلم يدركوه ويحصلوا على حلاوة القرب من النبي كاملة ولم يبق لهم الا اثرها كان لا بد للعارفين والاولياء المقربين ان يخبروا بها المؤمنين فيزداد حبهم للنبي ولسيرته وللصلاة عليه والا كان اثم وذنوب على هؤلاء العارفين. واذا انتشرت الصلاة على النبي وسيرته وأخلاقه في الحي بين الناس صاروا منتشين بها بغير اثم فهو اسكار بدون خمر ولكنه من انوار النبوة. وبشكل عام تعبر الابيات عن حب الله عز وجل. ومن العرفاء المصريين المشهورين الفضلاء الذين اجمع عليهم اغلب ابن عطاء الله السكندري رضي الله عنه. ولد بالاسكندرية عام ٦٥٨ هجرياً وكان فقيها مالكيًا اشعرياً واحداً اركان الطريقة الشاذلية التابعة لابي الحسن الشاذلي قدس الله سره ولقب بمرشد السالكين وتلمذ على يد ابي العباس المرسي وكان لابن عطاء مجلس علم يحضره الكثير من المؤمنين وكان يفتي على المذهبين (الفقه والتصوف) وكان يروي من اثار السلف ومن افضل مؤلفاته الحكم العطائية وترجمت للغات اجنبية. وعرف عنده رفضه لبدع كثير من المنتسبين إلى الطرق وانكر على ابن تيمية انكاره الاستغاثة بالرسول واقواله على ابن عربي وبينهما مناظرة شهيرة تفوق فيها ابن عطاء الله وإن انكرت ذلك مراجع أخرى.

ومن الراسخين في العلم من أرض مصر شيخ الإسلام الليث بن سعد وهو أحد أعلام مدرسة الحديث وولد ٩٤ هجرياً ويعده المؤرخون فقيه مصر ومحدثها واراد أبو جعفر المنصور العباسي ان يكون نائبه أو يوليه القضاء على مصر فرفض وقال الشافعي عنه انه افقه من مالك وله اثار واضحة في كتب الصحاح ويعتبر من مؤسسي علم الحديث فقد كانت له مدرسة مميزة في ذلك وكان له مذهباً فقهياً لم يحفظه تلاميذه اذ لم يهتم بذلك لكونه زاهداً ناسكاً انصب على العلم فقط وقيل عنه انه اكمل العلماء وكان كريماً سخياً وجنازته من اعظم الجنازات. ومن فقهاء مصر المحدثين ذو النون المصري واسمه ثوبان بن إبراهيم وهو احد اعلام التصوف في القرن الثالث الهجري وكان من سمات

علماء هذه الفترة جمعهم الفقه والحديث والتصوف .وهو أول من عرف التوحيد بالمنظور الصوفي وهي نقلة كبيرة للتصوف وللتوحيد وقربت بين الفقه والتصوف ووضعت اساسا يسير ليه الصوفيون فلا يقعون في زلل أو خطأ أو بدعة أو مخالفة بالاغراق في الفلسفة والبعد عن التوحيد .وكان ظهوره احدث ضجة وزلزال في المفاهيم القديمة التي لم يدركها أهل زمانه فاشتكوه إلى الخليفة المتوكل وذهب اليه فوعظه ثوبان فبكي الخليفة وكرمه واعاده إلى مصر .ومن حكمه (من تذلل بالمسكنة والفقر إلى الله رفعه الله بعز الانقطاع اليه)(الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر)(من علامات محبة الله متابعة حبيب الله -النبي -في كل افعاله وامره وسننه).ويعد ثوبان أول متصوف في مصر وهو أول من استخدم الرموز والاصطلاحات بسبب تأثيره برموز الهيروغليفية ولاضطهاد السلطات له وكثرة المعارضين ويعتبر مؤسس مصطلحات الاحوال والمقامات وغيرها من اصطلاحات التصوف وأكثر في حديثه عن المعرفة الإلهية ومذهبه قائم على سنة الرسول وطهارة النفس والطاعة وصولا للإلهام والكشف.

شهيدة الحب الإلهي

ولم يكن التصوف منحصرًا في الرجال فقد ظهرت امرأة اسست بلغت أعلى درجات الزهد والعبادة وهي ام الخير رابعة بنت إسماعيل العدوية ولدت بالبصرة عام ١٠٠ هجريًا .بدات حياتها حياة مجون وهو وغناء وخمر وانعم الله عليها بالتوبة والانقطاع للعبادة وارتبطت مع ذي النون المصري ارتباطًا تاريخيًا كثرت فيه الروايات وهي صاحبة نظرية الحب الإلهي وهي عبادة الله لانه وحده المستحق للعبادة وان شعور الحب لله يفوق الخوف من النار والرجاء في الجنة فنعم الله اكبر من ان تحصي واتاها الله جمالا فتانا ولكنها لم تتزوج وانقطعت للعبادة وراي ابوها مناما للنبي (لا تحزن فهذه الوليدة سيدة جليلة)، ولها ابيات شعرية جميلة (احبك حبين حب الهوي وحب لانك أهل لذاكا \فاما الذي هو حب الهوي فشغلي بذكرك عمن سواكا \واما الذي انت أهل له فكشفك للحجب حتى اراكا \فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي ولكن لك الحمد في ذا وذاكا).ولها أيضًا (فليتك تحلو

والحياة مريرة وليتك ترضي والانام غضاب \وليت الذي بيني وبينك عامر وبينني وبين العالمين خراب).

الجنيد

ومن أهل العراق أيضاً الذين اشتهروا في الآفاق وكان من العلماء الموسوعيين وكان كلامه مقبولا عند جميع الطوائف وشهد له أهل الإسلام بالعلم والفضل والصلاح أبو القاسم الجنيد البغدادي رحمه الله واثنى عليه السري السقطي والحاسبي وابو بكر الشبلي وابن تيمية واعتبره المؤرخون كافة من كبار العلماء الذين جمعوا الفقه والتصوف فقد عرف عنه الزهد والعبادة والعلم ومن كتبه رسائل الجنيد ومن أقواله (الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا على من اقتفى أثر الرسول) وحدد متطلبات العارف والسالك وشيخ الطريقة (من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث لا يقتدي به في هذا الأمر لأن علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة).

إمام الحرمين

من أبرز القامات العملاقة ومنارات للعلوم التي انتشر نورها في كل بلاد المسلمين الإمام أبو المعالي الجويني رحمه الله ولقب بامام الحرمين فقد زار اغلب بلاد المسلمين ولكنه اشتهر ببغداد ومكة وكان يؤم المصلين في الحرم وهو احد ابرز فقهاء الشافعية وكان اشعريا ولد الجويني عام ٤١٩ هجرىا وقد ولد في نيسابور وتلمذ على يديه حجة الإسلام أبو حامد الغزالي وكان الجويني رحمه الله مثالا للرجل الاكاديمي يقضي اكثر اوقاته في البحث والتدريس وكان محبا للبحث والاستقصاء رافضا للقوالب الفكرية التراثية الجامدة وكان من افضل المتكلمين ومن أهل مدرسة العقلانية مع تمسكه باصول الدين والفقه وضوابط الاجتهاد وكغيره من الفقهاء والعلماء اتخذ مدرسة الزهد والنسك مسلكا له وكان التصوف السني محبا إلى قلبه وقام بالتدريس في المدرسية النظامية واشتهر بها وكثر طلابه واجمع المسلمون على علمه وفقهه وفضله.

قاضي القضاة وشيخ الإسلام

وكان من أعلام السنة وفقهائها المشهورين تقي الدين السبكي، وكان رحمه الله فقيها محدثا صوفيا أشعريا واشتهر بعلم النحو واللغة ولقب بشيخ الإسلام وقاضي القضاة وولد في مصر وتأثر بابن عطاء الله السكندري ومن بعده ولده تاج الدين السبكي وكان قاضي القضاة في دمشق وكان اعلم فقهاء الشافعية في عهده واحد ابرز فقهاء الشافعية في التاريخ وكان له مؤلفا متعددة في شتي مناحي العلوم الإسلامية وكان احد ابرز علماء السنة في تاريخ المسلمين وانتقد ابن تيمية بشدة فقال: (انه لما أحدث ابن تيمية ما أحدث في أصول العقائد ونقض من دعائم الإسلام الأركان والمعاهد بعد أن كان مستترا بتبعية الكتاب والسنة وخرج من الأتباع إلى الابتداع وشذ عن جماعة المسلمين بمخالفة الإجماع وقال بما يقتضي الجسمية والتركيب في الذات المقدس وقال بحلول الحوادث بذات الله وان الله يتكلم ويسكت ويتحرك فقال باستلزام قدم العالم)

وقال المؤرخون شيوخ الإسلام ثلاثة (شمس الدين ابن ابي عمر وتاج الدين السبكي وابن تيمية). ومن الفقهاء من اعلام التصوف السني في القرن الثالث الهجري سهل بن عبد الله التستري واشتغل بعلم الكلام، وعلوم الاخلاص والرياضيات. اجمع المسلمون على فضله وعلمه وزهده وله كتاب رقائق المحبين.

شيخ الإشراف

عرف المسلمون أشكالا متعددة للتدين وذلك لانفتاحهم على حضارات وثقافات متعددة فأضافت عمقا لإيمان المسلم واعتقاده وصقلت الحكمة والفلسفة والمعرفة التراث الفكري الإسلامي ويظهر ذلك بوضوح اكثر في مدرسة تركية النفس وعلوم التصوف وابرز مثال على ذلك الشيخ شهاب الدين أبو الفتوح يحيى السهروردي الشيخ القليل المولود في ٥٤٩ هجري والملقب بشيخ الاشراف والمؤيد بالملكوت وبالحكيم مظهر الحقائق

ومبدع الدقائق فقد جمع السهروردي رحمه الله بين فلسفة اليونان القديمة وبين الفلسفة الإسلامية الصوفية مما انعكس على حكمه وفلسفته بل ومعتقده أيضاً وكان رحمه الله من اعلام التصوف في عصره وقد تربي على يد الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله ونشأ فقيها شافعيًا وكان من اعلم أهل زمانه بالفلسفة وعلوم الحكمة والتصوف وتعلم السيميا وللسهروردي أسلوبًا راقيا في الكتابة يفوق اقرانه من المتصوفة التقليديين الذين يكثر على أسلوبهم الاطناب والاطالة واستخدام لغة معقدة تكثر فيها التراكيب اما هو فيتسم أسلوبه بالوصول إلى الأفكار سريعًا وتأثر بالفكر الإسماعيلي ودرسه إلا أن مذهبه واعتقاده قائما على السنة ومن مآثوراته (ليس العلم وقفا على قوم لينغلق بعدهم باب الملكوت بل واهب العلم الذي هو بالافق المبين ما هو على الغيب بضنين وشر القرون ما طوي فيه بساط الاجتهاد وانقطع فيه سير الأفكار وانحسم باب المكاشفات وانسد طريق المشاهدات) (حرام على الاجساد المظلمة ان تلج ملكوت السماوات فوحد اله وانت بتعظيمه ملان واذكره وانت من ملابس الاكوان عريان ولو كان في الوجود شمسان لانطمست الاركان وابي النظام ان يكون على ما كان)، وفي تفسير قوله تعالى (الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة) (وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى اذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين) قال عنه (مسطور في لوح الذكر المبين ان السائرين وهم الذين يقرعون أبواب غرفات النور مخلصين صابرين تتلقاهم ملائكة الله مشرقين يحيونهم بتحايا الملكوت ويصبون عليهم ماء من ينبوع البهاء ليتطهروا فان رب الطول يحب طهر الوافدين). وتظهر قيمة السهروردي رحمه الله في انه وضع فلسفة وحكمة جديدة اضافت للتصوف ابعادا جديدة لم تكن معهودة من قبل فهي ليست مجرد طريقة صوفية وإنما منظومة عرفانية فلسفية متكاملة وسميت حكمة الاشراق أو فلسفة الاشراق واطهر أفكاره بقوة في كتابه الشهير هياكل النور الذي لاقي قبولا كبيرا وفلسفة الاشراق تعني انبثاق النور فالعلم نور يضعه الله في قلب العارف فيشرق فالقلب مثل المرأة المحلوة المصقولة مثل اللوح المحفوظ وما عليه من علوم وحقائق الهية فلا بد للمرأة ان تكون صافية حتى تظهر فيها الصور والقلب مثلها لا بد ان يصفو من الاحقاد والظنون وحب الدنيا والمعصية فيصفو وينقي بحب الله فيملاه الله نورا وذكر اسسها العلمية في كتابه المطارحات ومنها العقل والاستدلال المطقي والفلسفي وانه بدون ذلك لا يمكن فهم

كتابه حكمة الاشراق وكذلك الذوق الفطري وصفاء الباطن وامتاز تلك الفلسفة بايجاد رابط بين الاستدلال العقلي والتصوف فهي مدرسة مستقلة بكل المقاييس ومن نتائجها المقارنة بين المشاهدة والبرهان فالصانع يغني عن الصناعة أو الله يغني عن المخلوقات . كما ان فلسفة الاشراق تعتمد على ظواهر القرآن والسنة . فهياكل النور تنقسم إلى سبعة هياكل اولها هيكل الجسم ويذكر السهروردي رحمه الله ان الله ليس بجسم لأن الجسم هو كل ما يمكن الاشارة اليه بالحس فله طول وعرض وابعاد ولا يمكن ان يتكون من اجزاء أو من ذرات فالله غير قابل للانقسام والتجزئة اما الهيكل الثاني فهو هيكل النفس ومعانيها ووجودها واختلافها عن الجسم وان لها طبيعة مجردة لانها تدرك حقائق مجردة فالنفس الناطقة ذات مجردة عن الجسمية وهو جوهر روحاني ولها ماهية قدسية ولها قوي منها الحواس الخمس الظاهرة وباطنة وهي المخيلة والفكر والذاكرة ومركزها هو المخ وهناك فارق بين الروح الحيواني المحمل بالغرائز والشهوات والروح الإنساني الذي يرتقي عن ذلك ليكون روحا نورانيا ويثبت ان الله ليس بنفس كما قال المؤله الذين يقولون ان النفوس كلها اصلها واحد وهو الله أو من يقول كذبا على الله ان نفسه محبوسة في جسم وهو ما ينسف الاتهامات الباطلة التي وجهت للسهروردي مدعية قوله بالحلول والاتحاد أو بوحدة الوجود ويؤكد ذلك قوله ان الذات الالهية لا يمكن ان تتجزأ لانفس فالله واحد احد غير قابل للتجزئة وان الله يجعل لكل جسد روحا داخله وفي الهيكل الثالث يتناول بعض المبادئ العقلية والمنطقية ويثبت ان هناك قوة عليية سماوية تدبر الكون اذ لا مجال للصدفة فوجود العلة معناه وجوب وجود المعلول فالمخلوقات تدل على الخالق وفي الهيكل الرابع ينفي فكرة تعدد الموجود واجب الوجود اي ان الكون يستحيل ان يكون له اكثر من اله واحد . وان الله ليس بعرض اي غير قابل للحوادث فالله (نور السماوات والأرض) نوره قائم لذاته ظاهر لذاته (يدرك الأبصار ولا تدركه الأبصار) وفي الهيكل الخامس يتحدث عن طبيعة حركة الافلاك والهيكل السادس والسابع عن المعاد والنبوة والأحلام وعودة النفس إلى عالم الأرواح الطاهرة بعد الموت وأن كمال النفس يكون في مفارقتها للجسد.

ابن عدي مرات توبة النبي

ومن العلماء الذين اشتهروا في أوروبا ونقلوا علوم الأندلس إلى الشرق عبد الحق بن سبعين وسمي بذلك لقوله (أنا ابن عدد مرات توبة النبي) وقال عنه البابا (إنه ليس للمسلمين اليوم أعلم بالله منه) ومن أهم رسائله المسائل الصقلية وكانت أسئلة من الإمبراطور فريديريك الثاني إلى المسلمين فأجاب عنها كلها وقد أحدث ابن سبعين نهضة علمية فلسفية شاملة خاصة في مجال فلسفة الدين وعلوم اللاهوت وعلوم التصوف وحقق كتابه بدر العارف ثورة في مجال البحث الفلسفي في إطار الدين وكان أتباعه يرددون دائما (ليس إلا الله) فأطلق عليهم الليسية.